الجمهوريـة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

العنوان:

الروح الدينية في ديوان " اللهب المقدس" لمفدي زكريا قصيدة "الذبيح الصاعد" أنموذجًا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع : أدب عربي

تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبة:

سمية عطوي

إشراف الأستاذ الدكتور:

فتحي بوخالفة

السنة الجامعية :2012/ 2013

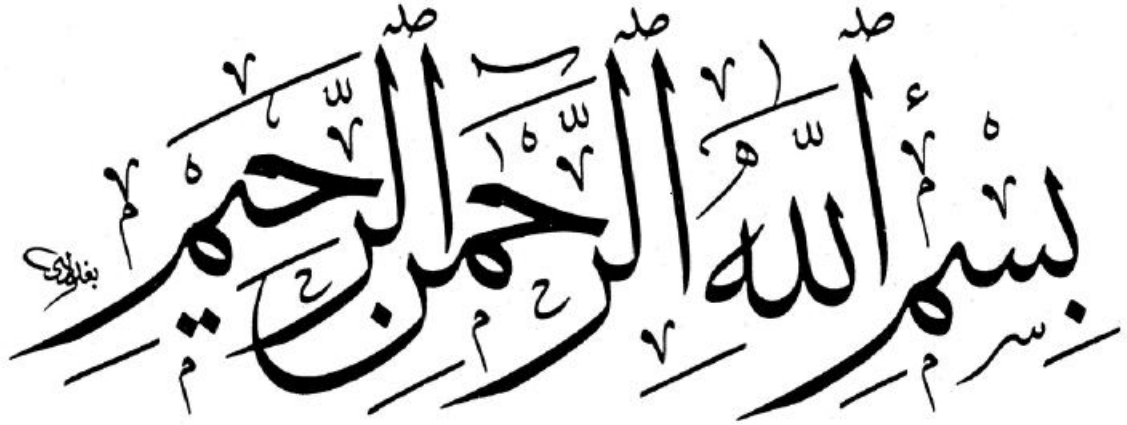
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

– لفتت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 أنظار شعوب العالم بلهيبها وقوتها، حتى نالت نصرها العظيم، محققة حرية شعب باسل بعد مائة واثنين وثلاثين سنة من الاستعمار والظلم .

– ولكل ثورة عظيمة شعراء يصوّرون أحداثها، ويذودون عنها، وينتصرون لبطولاتها ويمجّدون أبطالها وشهداءها، والثورة الجزائرية دفعت الأدباء الجزائريين إلى إثبات ذواتهم في الحياة الفكرية والسياسية،كما أفرزت جيلاً من الشعراء الملتزمين بقضية الثورة فدافعوا عنها وحمُوها بالفكر والشعر والنفس، ومن هؤلاء الشعراء المُقاومين: "محمد السعيد الزاهري، الهادي السنوسي، الأخضر السائحي"...وغيرهم، و"مفدي زكريا" أبرز هؤلاء إضافة – إلى محمد العيد آل خليفة – فزكريا أحسّ بالثورة قبل أن يُنتبه لها، وقبل أن تُضرم نيرانها ، فأضحت هي الهدف والمبتغى،وأضحى شعره مرآتها،وتجلى هذا بقوة في "الإلياذة و اللهب المقدس ... " .

– وشاعر الثورة "مفدي زكريا" تناولته دراسات عديدة من جوانب مختلفة أدبية ولغوية ، أما الأبعاد الدينية ورغم أنه لم يُسلَّط عليها الضوء بشكل واسع إلاّ أنها تبدو جليّة واضحة في آثاره، فالمُطّلع على شعر "زكريا" يُدرك بجلاء أثر المصادر الدينية الإسلامية فيه من قرآن كريم، وحديث شريف، وتاريخ إسلامي، وقيم أخلاقية .

– ولهذا حاولت في هذه الدراسة تتبّع الروح الدينية في ديوان "اللهب المقدس" – كتاب الثورة الجزائرية – لِما حواهُ من ألفاظ وصور إسلامية .

– قسّمت دراستي هذه إلى ثلاثة فصول معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي:

– تطرّقت في الفصل الأول إلى أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في شعر "مفدي زكريا" عامة وفي ديوان"اللهب المقدس" خاصة .

– أمّا الفصل الثاني، فقد خصّصته لأثر الثقافة الإسلامية في شعر "مفدي زكريا"، وهذه الثقافة تمثلت في السيرة النبوية الشريفة، والتاريخ الإسلامي، والقيم الأخلاقية الإسلامية .

– أما الفصل الثالث فقد كان تطبيقيًا، أردته تحليلا لأنموذج تمثّل في قصيدة "الذبيح الصاعد" .

–وبعد هذه الفصول الثلاثة ، أضفت مُلحقًا تناول حياة الشاعر، وثقافته ومؤلفاته، وخصائص شعره.

– وفي دراستي هذه اعتمدت على مصادر ومراجع منها :

"الإلياذة" ، "اللهب المقدس"، كتاب "شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم" لحواس بري، وكتاب "مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة" للدكتور محمد ناصر،إضافة إلى كتابه: "الشعر الجزائري الحديث : اتجاهاته وخصائصه الفنية"، وكتاب "مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية"، للدكتور حسن فتح الباب ... وغيرها من المصادر والمراجع التي سيأتي ذكرها في الفهرس .

– وقد ركزت في دراستي هذه على الجانب الديني في شعر "مفدي زكريا" عامة، وديوان "اللهب المقدس" خاصة، فما هي تجليّات الروح الدينية في هذا الديوان ؟ .

وفي الأخير أوجه شكري للأستاذ بوخالفة فتحي.

❖ **الفصل الأول: أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في شعر"مفدي زكريا":**

1- أثر القرآن الكريم في شعر " مفدي زكريا" :

أ- أثر القرآن في ديوان " اللهب المقدس" :

أولا :توظيف الشاعر لصور و ألفاظ ومعاني قرآنية.

ثانيا: توظيف الشاعر لإيحاءات و رموز قرآنية.

ب- أثر القرآن الكريم في الإلياذة والدواوين الأخرى .

2- أثر الحديث الشريف في شعر" مفدي زكريا" .

1 / أثر القرآن الكريم في شعر مفدي زكريا :

– لقد كانت الثقافة العربية في الجزائر طول عهد الإصلاح ثقافة إسلامية محافظة، فالتعليم كان يتم في المراكز الدينية: زوايا ومساجد، وكتاتيب قرآنية، كما أن أغلب المدرسين كانوا من رجال الدين: أئمة، فقهاء، ومرشدين،أما مواد التدريس فقد اعتمدت على فهم الشريعة الإسلامية،وحفظ القرآن الكريم باعتباره الرافد القوي والمنبع الثري للثقافة العربية، يقول"عبد الحميد ابن باديس": (... فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم..) [1]

– وعليه فالثقافة السلفية حددت الإطار الذي يعتمده الشعراء الجزائريون المحافظون في صياغة صورهم الشعرية، وهذا الإطار لا يخرج عن التراث الاسلامي من قرآن وأحاديث نبوية وتاريخ إسلامي .....،(فالثقافة العربية لشعب المغرب العربي كانت تتمثل في قواعد لغوية تحفظ عن ظهر قلب، وآيات قرآنية وأحاديث نبوية تردد في المناسبات المختلفة) [2]

– والشاعر "مفدي زكريا" اعترف بفضل القرآن الكريم عليه في تكوين رصيده الثقافي إذ أصبح مصدرًا هاما من مصادر صوره ولغته الشعرية ، فالقرآن احتل مكانة سامية مقدسة من نفس" زكريا" ،إذ حفظه قبل يبلغ من العمر أربع عشرة سنة، وقد كان يرى أنه لا نهضة أدبية أو فكرية بدون القرآن ، فجاء شعره متشربا له ومتأثرا به، دون تكلفٍ أو افتعال إذ تداخلت لغته الشعرية بلغة القرآن الكريم في موسيقاها ودلالاتها الفنية والتصويرية ،وهذا التداخل جاء على أساليب متنوعة، وباستخدامات متفاوتة، في السطحية والرمز، في التلميح والتصريح، وهذا ما سيتم بيانه فيما يلي من خلال تتبع دواوينه .

1 - محمد بن سمينة ،النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر : مؤثراتها، بدايتها، مراحلها ، مطبعة الكاهنة ، 2003 ، ص68.

2 -محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1979. ص 19

أ / أثر القرآن الكريم في ديوان اللهب المقدس:

– تميز العطاء الفني للشاعر " مفدي زكريا " بالغزارة والتنوع في قالبه وإيقاعه ومحتواه، وهذا في كل دواوينه : اللهب المقدس – تحت ظلال الزيتون – من وحي الأطلس – الخافق المعذب – انطلاقة ، وفي ملحمته الشعرية " إلياذة الجزائر ".

– و " اللهب المقدس " أهم وأشهر دواوينه ، فهو ديوان ثورة التحرير الجزائرية التي من وحيها صاغ " مفدي زكريا " أناشيده وقصائده فاحتل–الديوان– مكانة خاصة في الشعر الجزائري الحديث، وأصبح مفخرة للمثقفين الجزائريين،وآية لعبقرية وعزة الشاعر،إذ وصفه في حديث صحفي بأنه: (واقعٌ ، وتاريخ حرب وعصارة قلب شاعر عاش أحداث بلاده في السجون والمعتقلات ، وشهد رؤوس الفدائيين تحصد بالمقصلة في ساحة سجن بربروس) [1] .

– ونزعة الشاعر الثورية والوطنية تظهر جلية في الإهداء الذي تصدر الديوان:

(إلى الدقيقة الواحدة من فاتح نوفمبر 1954 .....

إلى أول أصبع جزائرية حركها الأزل ، وضغط بها القدر الرابض على زناد البعث لتطلق القذيفة المسحورة الأولى ، فتسعر " اللهب المقدس " في دروب بلادي الحالمة.... وجبالها الغضبى ...

أُهدي ذوب كبد تحترق في أُتون " اللهب المقدس") [2]

– ثم يقول الشاعر في كلمة بعد هذا الإهداء : (... لم أُعن في " اللهب المقدس " بالفن والصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر

1 -حسن فتح الباب ، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 1997 ص38.

2- مفدي زكريا ،اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص 3 .

الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطلولة ، والشعر الحق في نظري إلهام لا فن ، وعفوية لا صناعة) [1]

– الشاعر ورغم عدم تركيزه على البديع والمحسنات إلا أن صُور و أشعار ديوانه "اللهب المقدس"جاءت لوحاتٍ فنية خالدة دون تكلف منه أو عناء،وذلك راجع لاستلهامه من القرآن الكريم،هذا الكلام المعجز بألفاظه ومعانيه الذي وظفه الشاعر في صور متعددة سأحاول تبيانها.

أولا : توظيفه لصور و ألفاظ ومعاني قرآنية :

– لقد نهل "مفدي زكريا" في ديوانه "اللهب المقدس" من القرآن الكريم، إذ نجده كثيرا ما يبني صوره الشعرية اعتمادا على لفظة أو جملة أو معاني قرآنية حرصا منه على تجسيد الأحداث بأسلوب قوي.

والشاعر يلجأ إلى هذا التوظيف في المواقف العظيمة والأحداث الجِسام التي يقف لها التاريخ إجلالاً وعظمة،ومن هذه اللحظات لحظة أول نوفمبر 1954 التي قلبت موازين السياسة في العالم وغيرت مجرى حياة ومصير شعب بأكمله،فقد تخيلها الشاعر مشابهة في عظمتها وجلالها لليلة القدر التي نزل فيها القرآن الكريم مغيرًا تاريخ البشرية جمعاء.

يقول الشاعـر في قصيـدة " وقال الله" : [2]

دعـا التاريـخ لَيْلـكَ فاستجابـا ... (نفمبر) هل وفيْت لنا النصابا.
وهل سمع المجيب نداء شعـب ... فـكانـت لـيـلـة الـقـدر الجـوابـا.
تبارك لَيْلُـك الميمـون نجمـا ... وجـل جلالـه ، هـتـك الحجابـا.

1 – اللهب المقدس ، ص4 .

2 - الديوان نفسه ، ص30 .

زَكَت وثباته من ألف شهر قضايا الشعب يلتحق السرابا.

تنـزَل روحهـا من كـل أمر بـأحـرار الجـزائــر قـد أهـابـا.

– وهنا استوحى "زكريا" أبياته من سورة القدر مباشرة،إذ يقول تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4)سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ(5) } .

– ويواصل الشاعر توليده للمعاني فيقول :

بناشئة هناك أشد وطئا ... وأقْـوَم منطقًا وأحدَ نابـا .[1]

– هذه الصورة مستمدة من قوله تعالى : { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} المزمل –6– ، والآية الكريمة تشير إلى المدرسة الليلية التي تخرج منها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أما الشاعر فيشير إلى المجاهدين بكلمة ناشئة، فَهُم نشئ مؤهل للقيادة.[2]

– ويقول الشاعر في قصيدة " من يشتري الخلد ؟ إن الله باعئه ! " :

من يَكْنز المال لم يُسْعد به وطنًا ... وَيْلُمـــه فهو في الأموات معــدود.

جودوا به،قبل أن تكوى الجبـــاه ... المال يفنى، ويَبْقى الفضل والجود.[3]

فالبيت هنا مستوحى من قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}التوبة 34 –35

– وفي القصيدة ذاتها "من يشتري الخلد ؟ إن الله بائعه ! " يقول :

من يشتر الخلد ؟ إن الله بائعه ... فاستبشروا وأسرعوا ، فالبيع محدود

[1] - الديوان ، ص 31.
[2] - أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا ، دراسة وتقويم ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1994 ، ص 332 .
[3] - الديوان ،ص 271.

– في هذا البيت وظف الشاعر اللفظة القرآنية ومعناها قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } التوبة –111–.

– و"مفدي زكريا" يبني أحيانا صورته الشعرية اعتمادا على ألفاظا قرآنية دون توظيفها بمثل ما جاءت به في القرآن الكريم،وإنما يوظفها توظيفا جديدا يتماشى مع واقعه وأحاسيسه،فكلمات مثل : البعث،النشور،الوعد،الخلود،الواقعة،الزلزلة لها دلالات دينية معروفة فهي تصف غالبا أهوال يوم القيامة، إلا أن الشاعر استمدها وخصصها لوصف معارك الثورة التحريرية معبرا عن حماسته الثورية وتقديسه للنضال إذ يقول في قصيدة " و تعطلت لغة الكلام "[1]:

نطق الرصاص فما يباح كـــــلام ... وجرى القصاص فما يتاح ملام

وقضى الزمان فلا مرد لحكمـــــه ... وجرى القضاء وتمت الأحـكام

وسعت فرنسا للقيامة و انطـــوى ... يوم النشـــور وجفـــت الأقـلام

ما للقيامة في الجزائر أرعـدت ؟ ... فـــغدا لهـــا في الخافقين غمام

و الشعب شق إلى الخلود طريقه ... فوق الجماجـــم والخميس لهام

لا الذاريات الماحقات هوا طـــلا ... لا الشامخـــات تدكهـــا الألغام

لا القاصرات الغافلات كواعبـــا ... ديست قداستها وفض ختـــــام

– إن كلمات : القصاص،القيامة،الخلود،الذاريات،الغافلات،الكواعب في القصيدة تحمل دلالة تصويرية غير التي توجد في القرآن الكريم، فالذاريات في القرآن يراد بها الريح الشديدة،أما في النص الشعري يراد بها الطائرات الحربية .[2]

1 – الديوان ، ص 42

2– أنظر : محمد ناصر ،مفدي زكريا : شاعر النضال و الثورة ، نشر جمعية التراث، غرداية ،ص114.

وفي نفس القصيدة يقول :

الزرع أخرج في الجزائر شطأه ... فمضى وهب إلى الحصاد كرام

– استخدم الشاعر هذا جملة (الزرع أخرج شطأه) واصفا نضج الثورة الجزائرية وقرب تحقيقها للانتصار على الأعداء، والجملة ذاتها وردت في شعره ثلاث مرات في مناسبات مختلفة [1]، وهي تشكل تناصا مع قوله تعالى : { كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } الفتح –29–.

– الآية الكريمة تصف تآزر أصحاب الرسول(صلى الله عليه وسلم)حوله، فكانوا بقوتهم نارا تتأجج في قلوب الكفار غيظا وحنقا،وهذه الصورة أخذها الشاعر ليشيرإلى أن المجاهدين الجزائريين في حربهم ضد فرنسا يشبهون صحابة الرسول ثباتا وفداء.

–و"مفدي زكريا" يربط نصرة الشعوب بإرادة الله والتمكين لدينه في الأرض فيقول :

إن تنصروا الله ينصركم ... وينجز أمانيكم الغالية

ولن يخلف الله ميعاده ... ولا ريب ... ساعتنا آتية[2]

– اقتبس الشاعر الأبيات من قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }محمد–7– ،داعيا الشعب إلى الإتحاد ونصرة دين الله في الأرض حتى ينعم الشعب الجزائري المسلم بنصر الله [3] .

– وفي المقابل يبرز الشاعر أنانية وسلبية وجبن وخيانة الموظفين الرسميين الذين نصبتهم فرنسا على سلطة البلاد فيقول:

وفي الوظائف أخشاب مسندة لا يستجيبون للحسنى إذا نودوا [4]

[1] - أنظر : محمد ناصر ، مفدي زكريا: شاعر النضال والثورة ،ص114.
[2] - الديوان ،ص349
[3] - بوعلي عبد الناصر ،التناص مع القرآن الكريم في شعر مفدي زكريا ،مجلة الأثر ، ورقلة ، الجزائر ،العدد السابع ، ماي 2008 ،ص237
[4] - الديوان ، ص 267.

– استمد الشاعر الصورة المقيتة للمنافقين من قوله تعالى : {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ } المنافقون – 4–.

ومفدي زكريا في إقترابه من المعجم القرآني يستعمل الألفاظ والآيات (الصيغ)بشيء من التحوير أحيانا،فيقول مصورا حنينه إلى وطنه :

وفي صحرائنا جنات عـــــدن ... بها تنســـاب ثروتنــا انسيابـــا

وتحت خيامها انحبست عيون ... لها (هاروت) قد سجد احتسابا

وتحت خيامها انبجست عيون ... أسالــت مـــن فم الدنيا لعابـــا

وإنـا أمـة وسط نصافـــــي ... مودتنـــا الألـى قالـوا صوابـــا

وخضناها(ثلاث سنيــن) دأبــا ... فأصبحنا من التحرير قابـــا[1]

– جمع" زكريا" في هذه الأبيات صورا من أربع سور قرآنية تجسدت في الآية (8) من سورة البينة و (102) من سورة البقرة و (47) من سورة يوسف و الآية (9) من سورة النجم .[2]

– و ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 كانت الحدث العظيم الذي حظي باهتمام الشاعر فقد شبهها بليلة القدر–كما ذكرنا سابقا– وفي أبيات أخرى جعلها ذات علاقة بليلة وقصة (الإسراء والمعراج) في القرآن الكريم إذ يقول الشاعر في قصيدة " فلا عز حتى تستقل جزائر" .[3]

مددنا خيوط الفجــر ... قم نصنع الفجرا

وصغنا كتاب البعث ... قم ننشر السفرا

ورعنا الليالي الحبليات فأجهضت ولم نك نخشى في عجائبها شرا.

[1] - الديوان ،ص41.
[2] - أنظر : عمر بوقرورة ،الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث ،مركز منشورات جامعة باتنة، 1997،ص 197.
[3] - الديوان، ص 305.

تبـاركـت شهـــرا بالخوارق طافحـا ... وسبحان من بالشعب في ليله أسرى

فكم كنت يا رحمان في الشك غارقا ... فآمنت بالرحمـــان في الثورة الكبرى

وكم كنت بين(الكاف و النون)حائرا ... ومذ قلتهـا يا رب جنبتـي الكفـــرا

ولبـــاك شعـــب كـــاد يفقـــد ظنـه ... بوعـــدك لـــولا أنـه يحفظ الذكـــرا

ويـــا عربيـــا فـــي بـلاد شقيقـــــة ... عـروبتـــنا مـن يستطيـع لهـا نكـرا

فـمـــا حربـنا إلا امـــتداد لـــثـــورة ... أراد لهـــا من كان يخذلنا خســـرا

فلسطين في أرض الجزائر بعثها ... فمدوا يدا نحـــم المعاقـــل والثغرا

– إلى جانب الحس الثوري في القصيدة امتد الحس القومي في شراييـنها مشبعا بالظلال الدينية التي أجاد الشاعر توظيفها،فنمت من السياق ولم تقحم افتعالا من خارجه،كما بدا في الأبيات نزوع واضح إلى التأمل الفلسفي والغوص في التاريخ والقصص القرآني1.

– و"زكريا"حين يجد بين الصورة التي يريد رسمها والصورة الموجودة في القرآن الكريم تشابها في الدلالة الفكرية أوالفنية،فإنه يُكوّن مادة بنائه الفني من صورة قرآنية متعددة دون إيرادها بنصها الحرفي،بل يشير إليها بإشارات فنية،فحين أراد رسم الأحداث المهولة لزلزال الأصنام 1954 وكوارثه تخيل ما جرى في الأصنام من عنف شبيها بأهوال يوم القيامة كما صورتها سورة الزلزلة ،يقول الشاعر :

هو الإثم زلـزال زلزالهـــا ... فزلزلـت الأرض زلزالهـــا

وحملت الناس أثقالهـــــم ... فأخرجت الأرض أثقالهـــا

وقال ابن آدم في حمقـــه ... يسائلهـــا ساخـرا مالهـــا ؟

ألا إن إبليس أوحى لكم ... ألا إن ربـــك أوحـــى لها .2

[1] - أنظر:عمر بن قينة ، في الأدب الجزائر الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما) ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ،الجزائر ، 1995 ، ص73.

[2] - الديوان ،ص 274.

– في هذه الأبيات تأثر الشاعر بقوله تعالى: { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } .

وقد وظفها الشاعر بألفاظها ومعانيها وفواصلها وموسيقاها،فكادت الصورة تكون اقتباسا .

ثانيا : توظيف الشاعر لإيحاءات ورموز قرآنية :

– يعد القصص القرآني من أروع و أغنى الصور،ويتجلى هذا القصص في قصص الأنبياء و الرسل(عليهم السلام)حيث يوردها الله سبحانه وتعالى للعبرة و الإقتداء لما لها من أثر عميق وراسخ في ذاكرة المسلمين،ففيها الصراع بين الحق والباطل،والهدى والغي،كما أنها تجتذب القارئ و تشوقه بأسلوبها القصصي الممتع،وبما أنها واقعة تاريخا وأحداثا وشخصيات،فقد تحولت عند الشعراء إلى رموز لمعاني أخلاقية ومواقف إنسانية،(فغدا سيدنا"موسى"مثالا للثبات على الحق رغم الجبروت و الظلم وسيدنا"عيسى" مثالا للسمو والنقاء والتسامح،وسيدنا "يوسف" مثالا للعفة والطهر والصبر،وسيدنا "إبراهيم"مثالا للفداء والتضحية في سبيل العقيدة) [1]

– و"مفدي زكريا"يستلهم صوره كثيرا من قصص ومعجزات الأنبياء،فيوظفها مصورا الأحداث السياسية والاجتماعية الهامة مبرزا عظمتها وجلالها مستخدما الأسلوب الرمزي،وهذا التوظيف تركز في أغلب قصائده الثورية(وكأن فعل الثورة المعجز لا يقل نجاعة وتأثيرا عن نجاعة وتأثير معجزات الأنبياء والرسل) .[2]

– فنجد الشاعر مثلا حين يصور إرادة الشعب وتحديه يوظف المواقف والأحداث التي تذكر بما فعله المجاهدون إزاء أعدائهم الذين باؤوا بالفشل بإرادة من الله تعالى، ولمـــا أراد الإشارة إلى انهزام" ديغول" يقول :

[1] - محمد ناصر ،مفدي زكريا: شاعر النضال والثورة ،ص 119.
[2] - المرجع نفسه ،ص 119.

ومادلّنا على موت من ظن أنه ... سليمان منسأة على وهمها خرّا . [1]

يشير الشاعر هنا إلى "ديغول" المتوكئ على عظمة زائفة ، مستمدا الرمز من قوله تعالى : { فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَه فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} سبأ – 14 – والمنسأة في الآية تدل على عصا "سليمان" التي يوكأ عليها. [2]

– وتمضي القصيدة – ذاتها– في إيراد أسماء الأنبياء ، يقول الشاعر :

ورثنا عصا موسى ، فجدّد صنعها ... حِجَانا ، فراحت تَلْقَفُ النار لا السحرا.

وكلّم موسى الله في الطور خفيـــة ... وفي الأطلس الجبّار كلّمنا جهـــــرا .

وأنطق عيسى الإنس ، بعد وفاتهم ... فألهمنا في الحرب أن ننطق الصخـرا .

وكانـت لإبراهيـم بـردا ، جهنـــــم ... فعلّمنا في الخطب أن نمضـغ الجمـرا.

وآدم بالــتفــاح ، ضَــيــع خــلده ... و (ماريان) بالتفـاح نلقـي بها البحرا.

– هذه الأبيات تفاعلت مع القصص القرآني، رابطة بين سياق قرآني وسياق تاريخـي ، فالشاعر يعيد المواقف نفسها والمتمثلـة في التحدي وإعانة الله للثوار ، فعوّض تحدي "موسى" للسحرة بتحدي الثوار للنار التي فتحها العدو، كما ذكر "عيسى" ومعجزاته التي شابهتْهَا معجزات الثورة ، وشبَّه صبر المناضلين بصبر النبي "إبراهيم" (عليه السلام)،وبهذا التحدي والصمود ستقع فرنسا في الخطأ،وستطرد من أرض الوطن مثلما أُخرج آدم من جنات الخلد.3

– ومن الرموز البارزة في نصوص القصيدة الثورية لمفدي زكريا،الرموز المتعلقة بالمرأة والطبيعة والشخصيات التاريخية والدينية حينما يكون الموضوع ثوريا وجدانيا،وحضور المرأة في ديوان " اللهب المقدس " متعدد الأبعاد مركز على فداء الأرض الجزائرية ، وقصة " مريم " بعدما برَأها الله تعالـى أضحـت رمـزا للطهـارة والعفة والشرف،وهذا الرمز العظيم في

[1] - الديوان ، ص 306.

[2] - محمـد الأخضر عبد القادر السائحي : روحي لكم ،تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكـتاب ، الجزائر ، 1986، ص 97.

[3] - أنظر : نوارة ولد أحمد ، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2008، ص 212.

التراث الديني أخذه "زكريا" وحمّله دلالة جديدة للتعبير عن رؤية وجدانية ثورية،إذ تحولت"مريم"من شخصية دينية الى رمز للإخلاص والطهر في الثقافة الإسلامية إلى رمز ثوري وجداني يجسّد الأصالة والنزاهة في القصيدة الثورية [1].

– يقول الشاعر في قصيدة "وقال الله" :

وهزّت مريـــم العـــذراء نخيلا ... فأسقطت الفلوذج و الرضابا.

عراجـــن كالـــمجرّة مشرقـات ... عسالجها انسكبن بها انسكابا.

يدغـدغ تحتهـــا الغنّـــام نايا ... فينطق من فم الغنم الرّبابـــا.

يدلّي فـــي الغديـر الحلو ساقا ... وبالكـــفّيـــن يغـترف الشرابـا.

ويستلقـــــي بحافتـــه يناجـــي ... إله العـــرش يسألـــه متابـــا.

قرير العين في الفلوات أضحى ... يعاف الناس مذ ألف الذئابـا.

فمـــا يدري بجنّتـــه نفاقـــا ... ولا كـــذبـــا ولا خان الصّحابا.[2]

– هذه النخيل التي هزتها"مريم" يوما فأسقطت رطبا زكيا،هذه النخيل وغديرها الذي يرتاح الغنّام لطهارته فيروي ظمأه منه أصبح اليوم يعافه بعد أن كدّرته الذئاب .[3]

– و"زكريا" استمد صورة ورمز الطهارة والصفاء "مريم" من قوله تعالى :{ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا } مريم –25–.

– بالإضافة إلى الرموز السابقة أخذ"زكريا" قصة سيدنا يوسف(عليه السلام)حيث أنه رمز لسنوات الحرب الجزائرية التي عانى فيها الشعب الجزائري(بالسبع الشداد) فقال في قصيدة " قل يا جمال " :

وهل نصرنا كفاحا في جزائرنا ... يشقّ سبعا شدادا ملؤها شمم.[4]

ويقول في قصيدة : " فلا عز حتى تستقل جزائر ":

---

[1] - المرجع السابق ، ص 131.
[2] - الديوان ،ص 37.
[3] - أنظر: عبد الله الركيبي ،دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، دار الكتاب العربي ،الجزائر ، 2009 ،ص، 141.
[4] - الديوان ،ص 302.

عبرنا على السبع الشداد نشقّها ... ولم تثننا الأرزاء أن نعبر العشرا [1]

أخذ عبارة (السبع الشداد) من قوله تعالى : { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ}" يوسف -48-

تعبيرا عن صبر وتحمل الجزائريين حتى يتحقق نصر الله .

- أما قصة سيدنا "موسى" عليه السلام " (فهي أكثر إلحاحا على ذاكرة الشاعر من غيرها من القصص ، فهو كثير الإقتباس من أحداثها ومواقفها ولا سيما تلك المواقف التي يمكن اعتبارها جليلة حاسمة،مثل لحظة تكليم الله لموسى على طور سيناء ،ولحظة إلقاء "موسى" عصاه ... أو حينما راحت تتلقف سحر السحرة ... هذه اللحظات تجسم انتصار الحق على الباطل و الهدى على الضلال هي التي جعلت " عصا موسى "عند مفدي زكريا رمزا يستخدمه في شعره كلما رغب في تصوير المواقف الثورية و انتصارها و انحدار قوى الشر و الطغيان أمامها) [2] .

- ولما كانت طبيعة الشاعر مقاومة مناضلة فقد دفعته للإعجاب بالمواقف القوية المطيحة للجبروت و الظلم ،وهذا ما تجلى في قصة سيدنا" موسى" مع فرعون،و استخدام الشاعر للعصا رمز لذلك (حيث تكررت القصة التي تعالج مواقف سيدنا موسى في أكثر من ثلاثين موضعا). [3]

- يقول " زكريا " في قصيدة " قل يا جمال " .

ألقى عصاه بها (موسى) مروعة .. راحت لما بث إسماعيل تلتقم

شق الخضمّ وألقى في قرارته .. من آل فرعون من جاروا ومن ظلموا [4]

و قد أخذ الشاعر الصورة القرآنية ليعبر عن الظلم و الطغيان من قبل فراعنة الأرض و

1 - الديوان، ص 311.
2 - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،1985، ص475.
3 - محمد ناصر، مفدي زكريا : شاعر النضال و الثورة ،ص121.
4 - الديوان، ص 300-301

تحدي الثائرين لهم،ولأساليبهم الوحشية التي حاربتها الأديان السماوية ،ورفضتها الإنسانية[1]

- أما في قصيدة " فلا عز حتى تستقل جزائر" فيقول:

ورثنا عصا موسى فجدّد صنعها ... حجانا فراحت تلقف النار لا السحرا.

وكلم موسى الله في الطور خفية ... و في الأطلس الجبار كلمنا جهرا. [2]

- وهنا أخذ الشاعر رمز العصا و الجبل المقدس،فرمز للأطلس الجبار بجبل الطور المقدس،أما الأطلس فقداسته تكمن في تخضيبه بدماء الشهداء الزكية،وهو حين أراد الإشارة إلى أن الثورة بأمر من الله صورها بصورة قرآنية ،فمثلما تلقى "موسى" الوحي خاشعا في جبل الطور تلقى المجاهدون الأمر بالثورة .

- والشاعر وقف عند معجزة حدثت بجبل الطور،حيث عرف"موسى" القدرة العجيبة للعصا التي أودعها فيها الله ،و في جبال الجزائر عرف المجاهدون الجزائريون قدرة التدبير في مواجهة الاستعمار حتى غدت (عصيّهم) تلقف النار لا السحر،فتحولت "عصا موسى" من معجزة إلهية إلى رمز للدفاع بوسيلة السلاح في القصيدة الثورية لمفدي زكريا .

-كما يواصل الشاعر ذكر "موسى" في قصيدة "فلسطين" إذ يقول :

و في سكرة ضيعوا عزمتي ... ولم يغن عني سلطانيه

وأقتص من قوم موسى غدا ... و آخذهـم أخـذة رابيـة

إذا جاء موسى وألقى العصا ... تلقّف ما يأفك الطاغية. [3]

- ومن قصة وعصا" موسى" ينقلنا" مفدي زكريا" إلى النبي "عيسى" ومعجزته إذ وجد في صورة وقصة المسيح وهو يعيد الحياة إلى الموتى بإذن الله، وجد صورة شعب يستيقظ من سبات عميق، فالثورة بعث وإحياء فيقول :

وأنطق عيسى الإنس بعد وفاتهم فألهمنا في الحرب أن ننطق الصخرا . [4]

1- أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 319.

2 - الديوان ، ص 306.

3- الديوان، ص 344.

4- الديوان ،ص 306.

– وينادي الشاعر"نوفمبر"مخاطبا إياه في قصيدة " سنثأر للشعب ":

نفمبر حدّثنا عهدناك صادقا ... ألست الذي ألهمت أحجارنا النطقا ؟

ألست الذي كنت المسيح بأرضنا ... وأشرفت من علياك تخلقنا خلقا [1]

– شبه هنا ليلة نوفمبر بمثل معجزة المسيح"عيسى" في الخلق و الإحياء، فنوفمبر كان ميقات الانطلاقة...، والشاعر استوحى هذه الرموز لزيادة التأثير و الحماسة الوطنية في نفوس الجزائريين ... (لقد أدرك الشاعر أن توظيف الإطار الديني يحي في نفوس المتلقين سبيلا من التداعيات يستعيدون من خلالها جملة من المواقف و الصور التي كررها القرآن الكريم في مواضع عدة، ومن ثم يكسب الصورة الشعرية طاقة تعبيرية إقناعية ما كان لها أن تكتسبها لو عمدت إلى التعابير المألوفة في أحاديث الناس، لقد خلق حضور العصا بمعجزاتها و حضور الطور بخشيته و عيسى عليه السلام بمعجزته جوا من القداسة يندا ح ليصل عبر الزمان إلى ساحات الجهاد وفي جبال الجزائر) .[2]

– و في مواضع أخرى ينادي الشاعر"عيسى" بابن مريم كما ناداه القرآن الكريم :

و يا ابن مريم في ذكراك موعظة ... لو أنها تلهم الرشد المجانينا ؟ [3]

قد احمرّ الصليب لها حياء ... وضجَّ لها ابن مريم والنصارى [4]

– أما الرسول " محمد "(صلى الله عليه وسلم) فتارة يرد باسمه،وتارة بمفردة الرسول أو"أحمد" يقول الشاعر :

محمد في ربيع الكون مولده ... وبيتكم في ربيع الدهر مولود [5]

و ها هو أحمد يحدو بنا ... وها هو (جبريل) فينا ينادي . [6]

1 - الديوان ، ص 199-200.
2 - حبيب مونسي، موضوعة الجبل في شعر مفدي زكريا ، مجلة البصيرة ، الجزائر ، العدد الخامس ، 2000 ، ص 221، 222.
3 - الديوان ،ص 150.
4 - المصدر نفسه، ص154
5– المصدر نفسه ، ص 270
6 - المصدر نفسه ، ص106

– والشاعر في توظيفه الرمز المستمد من القرآن الكريم لم يقتصرعلى الأنبياء والرسل،وإنما استخدم أيضا قصص الملائكة و لا سيما "جبريل" (عليه السلام) رمز النقاء و الصفاء الديني،المبشّر بعالم جديد وإنسان جديد،قال الشاعر :

– نادى به جبريل في سوق الفدا ... فشرى وباع بنقدها و تبرّعها .[1]

– و ها هوأحمد يحدو بنا ... و هاهوجبريل فينا ينادي.[2]

– كما وظف"زكريا" قصة الملكين "هاروت وماروت" الذين ارتبطت شخصيتيهما بكل ماهو ساحر وجميل،ورائع الفتنة، وفي شعر "زكريا" تكرر ذكر"هاروت" كثيرا، إذ يقول في وصفه للمناظر الطبيعية الخلابة :

وتحت خيامها انبجست عيون ... لها هاروت قد سجد احتسابا.[3]

– والشاعر هنا لم يورد ألفاظا تدل على أن الصورة مقتبسة من القرآن الكريم،بل رمز إليها بما يدل عليها وهو المعلم(هاروت)الذي ارتبط في ذاكرة الأمة بالسحر،لكن الشاعر بلمسته الخيالية حوله من السحر المعروف إلى سحر الجمال .

– من خلال هذه الدراسة لأثر القرآن الكريم في ديوان" اللهب المقدس " نجد أنه – الديوان – تفاعل مع نصوص كثيرة (فالشاعر مفدي زكريا قد أفاض في هذا المجال باستعمال تقنيات التضمين والإقتباس من التراث الديني بصورة عامة و القرآن بصورة خاصة)[4]

– وهكذا كان الديوان إنتاجا ثقافيا ورمزا من رموز الهوية الجزائرية،إذ يؤرخ لفترة تاريخية تخص الشعب الجزائري برموز أدبية بيانية ولغوية،وفي هذا يقول الشاعر نفسه :

فخلدّ قدس اللهيب بياني ... وأذكى لهيب الجزائر فكـــري.[5]

---

1 – الديوان، ص59

2 - المصدر نفسه ، ص 106

3– المصدر نفسه ،ص .34

4 – عبد اللطيف حجاب،التناص الديني كظاهرة أسلوبة في شعر مفدي زكريا،مجلة تعارف،العدد الأول،المركز الجامعي،البويرة،الجزائر،2006، ص277

5 - مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 ،ص115

ب- أثر القرآن الكريم في الإلياذة والدواوين الأخرى :

- تعد"إلياذة الجزائر " للشاعر مفدي زكريا أهم ما توّج به نضاله الأدبي عامة دفاعا عن الجزائر و انتمائها وشخصيتها، وقد تميزت الإلياذة بخصائص ملحمية منها العنصر القصصي،الموضوعية لتناولها تاريخ الجزائر بدقة،إضافة إلى البطولة،إلا أن العنصر الديني هو أهم الركائز الأساسية المعتمدة في إلياذة الجزائر من خلال الروح الإسلامية البارزة من أول صفحاتها،يقول الشاعر :

جزائر يا مطلع المعجزات ... ويا حجة الله في الكائنات

ويا بسمة الرب في أرضه ... ويا وجهه الضاحك القسمات .[1]

- و"زكريا" جعل القرآن الكريم المصدر الأول والهام لنهل مفرداته وتوظيفها في كل شعره عامة،وفي الإلياذة خاصة،إذ تكاد هذه الأخيرة لا تخلو من" الحاضرالقرآني"[2] ،في نحو قول الشاعر :

وعلمت آدم حب أخيه ... عساه يسير على هدينا .[3]

وذلك من قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } الحجرات -10-.

-وقوله تعالى { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ}غافر-36-

يظهر جليا في قول الشاعر :

عرجنا ننافح بإينام ضحا ... كأنا اغتصبنا لهامان صرحا [4]

-وقوله : ومن خائرين كأعجاز نخل ضمائرهم في المزاد رقيقة [5]

الصورة مأخوذة من قوله تعالى : { كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} الحاقة -7-

-أما قوله : تسلق ايعكورن واغزالسها وطاول بها سدرة المنتهى .[6]

---

1 - إلياذة الجزائر ،ص 19

2 - خليفة بوجادي ، الثابت اللساني في إلياذة الجزائر بين المنظور الوظيفي و الإتجاه الأسلوبي ، 2001، ص120.

3 - إلياذة الجزائر، ص 22 .

4 - المصدر نفسه ، ص26.

5 - المصدر نفسه ، ص 28.

6 - المصدر نفسه، ص32.

– فهو مأخوذ من قوله تعالى :{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} النجم 13–14

– ويقول عن زواج الجزائريات بالأجنبي :

ولم ترض بالفحل من قومها ... فهامت بمن " ما رمى إذ رمى"[1].

البيت مستمد من قوله تعالى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } الأنفال–17

– ويقول"زكريا" أيضا :

غرابيب سود تجيد النعيق ... وتختال في مشيها كالزرافة [2].

مستمدا الألفاظ من قوله تعالى {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} فاطر– 27–

– أما في البيت التالي فقد أخذ الشاعر اللفظة القرآنية بمعناها من قوله تعالى :{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } القيامة 22–23 ، فيقول :

وفي قدس جناتنا الناضرة ... وجوه إلى ربها ناظرة [3]

– كما يقول مقتبسا من القرآن الكريم أيضا :

ويلتف ساق بساق فنصبوا ... فيغمرنا ملتقى الفكر نصحا[4]

صدر البيت مستمد من قوله تعالى : { وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} القيامة –29–

– كما يورد الشاعر في إلياذته أسماء الأنبياء وبعض الأعلام من القرآن الكريم، فيقول:

فسحقـا لبنـت تزيف جيـــلا ... وتلعن فيها الدماء الدما...

و تغضب عيسى المسيح وتبكي ...على جذع نخلتها مريما [5]

– ويقول أيضا بعد أن أخذ رمز" العصا " لسيدنا موسى(عليه السلام) :

وألقيت في الساحرين عصاي ... تلقّف ما يأفكون بسحري. [6]

– مُستمِدًا الصورة من قوله تعالى :{ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} الشعراء –45–

1 - إلياذة الجزائـــــر ، ص 105
2 - المصدر نفسه ، ص 101
3 - المصدر نفسه ، ص 46
4 - المصدر نفســـــه ، ص 26.
5 - المصدر نفسه ، ص105
6 - المصدر نفسه ، ص 115

ويقول"زكريا" منتقدا الأوضاع والأخلاقيات الدخيلة على الشباب الجزائري كالموضة التي جعلته يغفل دينه منبهرا بالغرب،فحاول الشاعر أن يبيّن طبائع الشعب الجزائري الجليلة الرافضة لأي انحلال : 1 .

وتــأبى رجولتنــا الإبتــذال ... وأحلاسه والشعور الطويلة
ونــافس آدم حـــــواءه ... دلالاً وغنجا وذبح الفضيلــة [2]

– ويقول أيضا : تأذن ربك ليلة قدر ... وألقى الستار على ألف شهر
وقال له الشعب أمرك ربي ... وقال له الرب أمرك أمـــري !! [3]

– إلى جانب الصور و الألفاظ القرآنية في الإلياذة نجدها أيضا زاخرة بألفاظ دينية مطلقة:

جزائر يا بدعــة الفاطـــــر ... ويا روعة الصانع القادر
ويا بابل السحر من وحيهــا ... تلقب هاروت بالساحــر
ويا لجة يستحم الجمـــــال ... ويسبح في موجها الكافر
ويا ومضة الحب في خاطري ... وإشراقة الوحي للشاعــر [4].

– ويتواصل ذكر الرموز القرآنية في شعره إذ يقول في ديوان " من وحي الأطلس ":

ويهدر وكر مريم طـــــوع"ماري" وتنعم لا جناح ولا عتابـــــا
وصار محمد يدعى (بروجـــي) ولو يدعى محمد ما أجابـــا [5]

– ويقول : أيهتك باسم(موسى) قدس(طه) وهل يرضى المسيح وفيه غابا
قد احمر الصليب لها حـــــياءا كما اصطخب الهلال لها اصطخابا
وأزعجت (الكليم) فهل أباحت رسالتــه لأمتــه اغتصــابـــا
فأين (محمد) من غاصبيـــه ومن أحفـاده (حسن) أهابـَا. [6]

1- أنظر حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم – ص 208.
2 - إلياذة الجزائر، ص90
3 - المصدر نفسه ، ص 69
4 - المصدر نفسه ، ص 20
5 - حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 222
6 - المرجع نفسه ، ص 344

– ويقول زكريا معبرا عن تعاون المرأة و الرجل،مستمدا الرمز"آدم و حواء" :

وقلت لآدم : حواء كـــــفء... فنضت عن مواهبها النقابا

فسارت في اتجاه واحتشـــام ... تربي الجيل جهدا واحتسابا

وتبنى جنب آدم صرح مجد ... وتقرع للعلا بابـــا فبابـــــا [1]

– وفي " من وحي الأطلس " يستمر الشاعر في توظيف الرمز "آدم" (عليه السلام) لما طُرد من الجنة وذلك في تصويره لطرد الفلسطينيين من أرضهم :

من آدم طردوه من جناته ... فتقاسمته مدافع وجراح[2].

– ويقول الشاعر في ديوان" تحت ظلال الزيتون "[3] :

سلوا الطائر الميمون من فيه أودعنا ... ومن في بساط الريح للروح أسلمنا؟

سليمان أم بلقيس ؟ أم قلب أمـــــة ... وإنسان عين في (العوينة) ودعنا.

– ويقول: وعيسى وموسى والنبي محمـــد ... أشقـاء لا يخفـون حقـدا ولا ضغنا

تعانق فيــه مسجد أو كنيســـة ... نـواقيسها وقّعــن (آذانه) لحـنـــا.

– أما الإقتباس من القرآن الكريم فقد كان حاضرا في قوله :

وزلزل صياصيها بثورتك التي ... تسامت تشق الغيب في سيرها شقّا [4]

– وهو اقتباس من الآية : { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ } الأحزاب –26–.

– كما يوظف الشاعر حادثة الفداء " اسماعيل " توظيفا فنيا فيقول :

سقت الشراع على الخضم بحكمه ... فمضى شراعك كالشعاع ذلولا.

وسمعت عن كبش الفداء حكايـــة ... فسبقـت فيــه أبــاك اسماعيلا.

– ولما أراد الشاعر وصف الحال التي تردى إليها الجزائريون بين الحربين العالميتين إقتصاديا و سياسيا و إجتماعيا لجأ إلى صورة إيحائية مستمدة من القرآن الكريم،

فقال : وحاق البلاء وعمّ العذاب ... وفي الجيد حبل من المسد [5] .

---

1 - أنظر حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم – ص 345

2 - المرجع نفسه ، ص 345

3- المرجع نفسه ، ص345.

4- أنظر : محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته وخصائصه الفنية،، ص 299.

5 - أنظر : محمد ناصر ، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة ، ص 126.

– والصورة (وفي الجيد حبل من المسد) تجسد صورة الجزائريين ومعاناتهم القاسية تحت وطأة الاستعمار الفرنسي،وقد استمدها الشاعر من الآية الكريمة:{ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} المسد 4–5

– لقد كان للصراع القائم بين الشعب الجزائري والإستعمار الفرنسي،وكذا معاناة الجزائريين دخل كبير في لجوء الشاعر إلى توظيف تراكيب فعالة ومحركة للنفوس، ولا يوجد كتاب أفضل من كتاب الله المقدس" القرآن الكريم" كمصدر خصب لصور فنية وتراكيب لغوية تتميز بالإعجاز المبهر والطاقة الإيحائية المؤثرة،فالأسلوب القرآني يؤثر بجمله و مفرداته من خلال جرسها وظلها ودلالتها على النفوس .

– وقد كان " مفدي زكريا " مولعا بالإقتباس إلى أبعد حد وقد استعمله بمقدار له مذاقه الخاص، فكانت قصائده أوقع في النفس وأكثر تأثيرا وإيحاءا [1].

– والتفاعل مع النص القرآني اتخذ أشكالا مختلفة من اجترار الآيات بلفظها ومعناها أو تحويرها وفق حاضر النص الجديد أو تمثُّل الفاصلة القرآنية أو الصورة الفنية .

1 - أنظر: عبد الله الركيبي ، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث،ص172.

2- أثر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا :

يعتبر الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وقد كان له تأثير قوي في الحياة الإجتماعية والثقافية، وأهمية القرآن والحديث تكمن فيما يتضمنانه من تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى الناحية الأدبية، ودرجة الحديث الشريف في البلاغة وقوة الأسلوب تأتي بعد درجة القرآن الكريم، إلا أن اقتباس الشعراء من الحديث كان قليلا مقارنة بالاقتباس من القرآن الكريم، وذلك راجع لسببين :

1 / أن الشعراء بدؤوا تعلمهم بحفظ القرآن، فكان تأثرهم به أمرا طبيعيا، كما أنهم نهلوا من البلاغة والأدب العربي الذي بدوره نهل من القرآن الكريم .

2 / أن رواية الحديث بالسند المتصل وحفظه سُنة انقطعت طويلا في المجتمع الإسلامي عامة، وأصبح الإلمام بالحديث مرتبطا بالتعلم وفي نطاق محدود، ومنحصرا في الجانب الأخلاقي، لذلك كانت صلة الشعراء بالحديث أقل من صلتهم بالقرآن الكريم .[1]

– و" مفدي زكريا " واحد من الشعراء الذين اعتمدوا بصورة خاصة على القرآن الكريم، إلا أن هذا لم يمنعه من الإستعانة بالحديث الشريف وتوظيفه اقتباسًا أو تضمينًا .

– يقول الشاعر في قصيدة " ذروا الأحلام وأطرحوا الأماني "

ومن يُلدَغ فإنّا قد لُدغنا خداعًا من جُحُوركم مرارا .[2]

– فيه إشارة لقول الرسول(صلى الله عليه وسلم) : << لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْر واحدٍ مَرَّتيْن >>[3]

[1] - أنظر : أحمد شرفي الرفاعي ، الشعر الوطني الجزائري ، دار الهدى، عين مليلة ،الجزائـــر، ص 208 - 209

[2] - اللهب المقدس ، ص 153 .

[3] - الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، ط1 ، دار الأصالة ، الجزائر ،2010، ص 695

ويضيف الشاعر :

ونحـن بنـو السـلام، فـإن لجـأنـا إلــى حـرب فقسـرًا، واضطـرارا.

فـإن سلمًـا فنحـن دعـاة سِلــمٍ وإن حـربًـا، فحـربٌ لا تُجـارَى [1] .

– في هذا البيت يُبيّن الشاعر مدى تمسك الجزائريين البواسل بسيرة نبيهم محمد(صلى الله عليه وسلم) فقد كان داعيا للسلم قبل الحرب، فكان (صلى الله عليه وسلم) إذا أمر أميرًا على جيش أو سرّية أوصاه في خاصّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم يقول : << أغزوا باسم الله، في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، أغزوا لا تغُلُّوا ولا تغدروا ولا تَمْثُلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيتَ عدوَّكَ من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال .. >> [2].

– لقد كان (صلى الله عليه وسلم) يَسْبق الدعوة على القتال، كما يتجلى ذلك في كتابه إلى (هرقل) يدعوه للإسـلام، : (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعــوك بدعايــة الإسلام أسْلِم تسلَمْ وأسْلــم يُؤْتِــك الله أجْرك مرتيــن وإن تولّيْــتَ فإنّ عليــك إثــم الأريسِيّين ....) [3]

– كما يقول الشاعر في قصيدة " إرادة الشعب تسوق القدر" :

لم تُنْسِنَا الأحداث أرزاءنا فكيف ننسى اليوم إخواننا ؟

أم كيـف يجفــو المسلــم المسلـــما ؟

وبيننـــا قربـــى، وجِنْـــسٌ، ودیــن !! [4]

– الأبيات مستمدة من قوله (صلى الله عليه وسلم) : <<....وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا >>[5]

---

[1] - اللهب المقدس ، ص 153.
[2] - صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 421
[3] - المصدر نفسه ، ص 431
[4] - اللهب المقدس ، ص 247.
[5] - صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 606.

– وأيضا كما جاء في الحديث الشريف << لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه المسلم>> [1]

– ويقول " زكريا " في موضع آخر :

(محمد) أبقى لنا عبرة من (الذئب، والغنم القاصية) [2]

– والبيت فيه إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وسلم) : << يد الله مع الجماعة، وإنما تأكل الذئب من الغنم القاصية >>.

– يقول الشاعر في إلياذته :

توفر للشعب أقداره وتكفي الجزائر .. ذل السؤال . [3]

– وهذا المعنى استمده من قوله (صلى الله عليه وسلم): << لأن يغدوا أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدّق به ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، إن اليد العليا أفضل من اليد السفلى >>[4]

– ثم يمضي"زكريا" ليأخذ من قوله (صلى الله عليه وسلم) في وصف الجنة، فيقول:

فلو شاء ربك وصف الجنا ن ليغري الأنام، بها شبها [5]

– في هذا إشارة إلى قوله(صلى الله عليه وسلم) : << قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر>> [6]

ويشير "زكريا" إلى وحدة المغرب العربي، فيقول:

ويصنـع وحدتنا ابـن علي فيرفع رايتها باليميـــن.

وينبض قلب بأرض الجزائر تمسك تونس منه الوتين. [7]

1- صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب :محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 605.
2 - اللهب المقدس ، ص 349.
3 - إلياذة الجزائر ، ص 36.
4 - صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 230.
5 - إلياذة الجزائر ، ص 32.
6 - صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 661.
7 - إلياذة الجزائر ، ص 50.

– ويقصد الشاعر هنا أنه لما تهتز أرض الجزائر بحدث ما، فإن الشعب المغربي كله يهتز نُصرةً، فالوطن العربي كالجسد الواحد، وهذه صورة شعرية رائعة تضمنت الحديث الشريف في قوله (صلى الله عليه وسلم) :<< مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى >> [1]

– أو في قوله (صلى الله عليه وسلم):<< المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا >> [2]

–ويتوسل الشاعر لربَّه قائلا :

أتوب إليك بإلياذتي عساها تُكفّر كل ذنوبي

عَصَيتُك علمًا بأنك تغفر على المسرفين فهانت خطوبي[3]

– أقر الشاعر بذنوبه راجيا رحمه الله وعفوه، فالله غفور رحيم، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): << والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولَجاَء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم >> [4]

- لقد زاوج "مفدي زكريا" أبياته الشعرية بالآيات القرآنية لإيمانه وقناعته الخاصة أن نصر الله هو حليف الثورة لا محالة، إذا تمسك الشعب الجزائري بدينه و قرآنه ، و بالحديث الشريف شارح القرآن الكريم و ثاني منهج للمسلمين لما تميز به من بلاغة و قوة تعبير و تأثير.

1 - صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 610
2 - المصدر نفسه ، ص 609
3 - إلياذة الجزائر ، ص 114.
4- صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص 641.

❖ **الفصل الثاني : أثر الثقافة الإسلامية في شعر "مفدي زكريا" :**

أولا : أثر التاريخ الإسلامي في شعر "مفدي زكريا" .

ثانيا : أثر القيم الإسلامية في شعره :

أ . عوامل فلسفة الأخلاق في شعره .

ب . أهم القيم الإسلامية في شعره .

– تمهيد :

لقد كانت الثقافة المحلية في المغرب العربي متداخلة مع التراث والثقافة الإسلامية حيث كانت تقوم على عنصري الأدب والدين مُجتَمعين(وهذه الثقافة كانت دينية بقدر ما كانت أدبية) [1] ،حيث كانت تستوحي روحها واتجاهاتها من القيم الإسلامية، من أجل استعادة الشخصية العربية المسلمة لشعب المغرب العربي لمواجهة الاستعمار ومحاولاته الفاشلة لمحو مقومات الهوية الإسلامية العربية .

– والشعراء حملوا على عاتقهم دور مناهضة المستعمر،وتقديم الموعظة الحسنة للناس،وكان الشعراء الحقيقيون هم من يقولون في الأغراض الشريفة، فقد جاء في مقال للشاعر "مفدي زكريا" في مجلة الأمة "العدد (69)" : (فَللَّه دار الشعر والشعراء المخلصين المتمسكين بعزة النفس الذّائدينَ عن حياض الدين،السّالكين بأمّتهم سبيل النجاة،الناهجين منهج الأخوة المتحدين على إعلاء كلمة الله، المتعاونين على البر والتقوى، المعتصمين بحبل الله)[2].

– فالشاعر كان يسعى لتجسيد القيم الأخلاقية والدينية من خلال جعل الشعر نموذجا وقدوة ومرادفا للسنة النبوية التي هي نموذج الأمة وقدوتها، كرد فعل للشعب الجزائري على ما يعيشه من ظلم، و"مفدي زكريا" لم يجد مصدرا مُعينًا له لاستنهاض الهمم وتحريك القلوب أفضل من ثقافته الإسلامية التي تمثلت في :

– اطلاعه على التاريخ الإسلامي وأمجاده، إضافة إلى تشبّعه بالقيم الأخلاقية الإسلامية فنهل منهما كثيرا ، وهذا ما سيتم بيانه فيما يلي من خلال تتبّع وتقصّي آثار هذا التاريخ المجيد بقيمه الإسلامية في شعر "زكريا" .

[1] - محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص19 .
[2] - علي خذري ، نقد الشعر في الدراسات الأدبية الحديثة في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، قسنطينة ، 1998 ، ص91 -92 .

أولا : أثر التاريخ الإسلامي في شعر مفدي زكريا :

– للأمة الجزائرية تراثٌ عميق وجذور إسلامية أصيلة، فإشعاع الرسالة الإسلامية بزغ في الجزائر في العصر الوسيط بعد وصول العرب الفاتحين إليها حاملين معهم بشرى رسالة الإسلام التي غيّرت سير الحضارة الجزائرية تغييرا جذريا من الناحية الروحية والفكرية والاقتصادية والثقافية [1] .وهذه الرسالة الإسلامية أشاد بها "مفدي زكريا" قائلا:

وُهبنا العروبة جِنساً وديناً وإنّا بما قد وُهِبنا رَضيـنـــاَ

إذا كان هذا يُوحّد صـفاً ويَجمع شملاً رفعنا جَبينا [2]

– فالإسلام وحّد الجزائريين وجمع كلمتهم لتحقيق عزّتهم والعرب جميعا، ولذلك ارتبط التاريخ الجزائري بالتاريخ الإسلامي(فكانت الحرب الدائرة بين الشعب الجزائري المسلم،والدخيل الفرنسي الكافر تستقي معانيها وشعاراتها من الدين الإسلامي فَأُطلِق على مجاهدي الثورة اسم "المجاهدين في سبيل الله"). [3]

– والشاعر "مفدي زكريا" آمن ومنذ البداية بانتماء الجزائر بتاريخها وثورتها إلى العالم والتاريخ الإسلامي، فكان شعره غالبا مسكونًا ومليئًا بهاجس قومي يُقوي انتماءه العربي الإسلامي، يقول "صالح خرفي": (امتد جناح الشعر الجزائري يظلّل العالم العربي والإسلامي، ويُقاسمه أفراحه وأتراحه) . [4]

– ولأن القومية العربية ارتبطت بالإسلام، والجزائرُ دولة عربيةٌ إسلامية :

عهد العروبة ركنٌ من عقيدتنا وللعروبة في أصلابنا رَحمُ . [5]

[1] - بلحيا الطاهر ، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ص76 - 77 .
[2] - إلياذة الجزائر ، ص 43 .
[3] - الوناس شعباني ، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، ص 84 .
[4] - صالح خرفي ، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983، ص 107 .
[5] - اللهب المقدس، ص 303 .

–إذن كان التاريخ الإسلامي "الممثل للثقافة العربية السلفية" من أغنى المصادر التي استمد منها الشاعر صُوره، ولذلك عمد إلى استدعاء الشخصيات التاريخية العربية الإسلامية المجسّدة لقيم البطولة والشهامة واستنطاقها، وتحريك الوقائع والأحداث التاريخية بأمجادها.

– وقد كان "لمفدي زكريا" قدرة كبيرة على توليد الصور وتحويلها للوحات ناطقة باعثًا فيها الحياة ، و تجلّت أعظم تلك الصور في تغنّيه بالجزائر وثورتها، فنجده يسمو سمواً فريدا،إذ كان يرى أن "الثورة الجزائرية" جاءت بأمر من الله الذي أرادها حربا على الصليبيين الظالمين، فلبّى الشعب نداء وأمر ربّه؛ فكانت ليلة ثورة نوفمبر شبيهة بليلة القدر :

وقال الله : كُن يا شعب حربـاً على من ظلَّ لا يرعى جنابـــا

– وقال الشعب : كُن يارب عوناً على من بات لا يخشى عقابا! [1]

– وهل سمع المُجيب نداء شعبٍ فكانت ليلة القدر الجوابـــا؟ [2]

– والشاعر في إيراده للأحداث التاريخية كان يهدف إلى التذكير بالدروس التي أفادها المسلمون من حروبهم السابقة، وبأن تحقيقهم للنصر كان بتلاحمهم وإيمانهم، وهذه الصور التاريخية تجعل المتلقي يُؤمن بأن ثورة التحرير هي امتداد للحروب الإسلامية الأولى ضد الصليبية، وسيكون النصر حليفها لامحالة، فلجوء الشاعر للتاريخ كان من أجل استنهاض الهمم بتصوير أمجاد الإسلام والمسلمين في محاربتهم الكفر .

– و"مفدي زكريا" تأثر كثيرا بسيرة سيد الخلق محمد(صلى الله عليه وسلم)، وصحابته الذين حملوا معه رسالته، وهذا بفضل ثقافته الإسلامية واطلاعه على السيرة الشريفة، "فغزوة بدر الكبرى" كانت حاضرة دوما في شعره، إذ يقول :

وَحدّثنـا عـن يـوم بـدر محمــد فقمنـا نُضَـاهــي فـي جزائـرنا "بـــدرا" .

[1] - اللهب المقدس ، ص 32 .
[2] - المصدر نفسه ، ص 30 .

تباركتَ شهرًا بالخوارق طافحـــًا وسبحان من بالشعب في ليله أسرى .

فكم كنتُ يارحمان في الشك غارقاً فـآمنـتُ بالـرحمـان فـي الثـورة الكبـرى .

وكم كنتُ بين(الكاف والنون)حائرًا و مـذ قُـلتَـهـا يـــارب جنّبتنـــي الكفـــرا

ولبّـاك شعـب كـاد يفـقد ظنَّه (بوعدك) لولاَ أنه يحفظ الذكـــــرا .

ويقرأ في التنزيل ، عند صلاته بأنك بعد العسر ، تغمره يســـــرا .

وأشربْتَهُ حُب الشهادة فارْتمـــى على غمرات الموتِ تُلهبه الذكرى .

وطالبْتَـهُ بالمهـر إن رامَ عـزّة فأسرع من أرواحه ، يدفع المهـــرا . [1]

– لقد ربط "زكريا" في هذه الأبيات "ثورة نوفمبر" بغزوة" بدر" التي تحدّى فيها المسلمون الكفارَ بعون الله، مؤمنين بقدرته على نصرتهم وتغيير الأوضاع، فَغُرست في نفوسهم العزيمة والصبر والثقة،إذ في تلك الليلة بات المسلمون ليلُهم هادئ الأنفاس منير الآفاق، غمرت الثقة قلوبهم وأخذوا من الراحة قسطهم يأملون أن يروا بشَائر ربهم ...، كذلك الثوار الجزائريون "في ليلة الفاتح من نوفمبر" ثبتت عزيمتهم لمواجهة المستعمر وكلهم إيمان بقضاء ونصر الله، فالله سبحانه وتعالى وعد المسلمين في غزوة بدر بالنصر والبشرى (كان رسول الله منذ رجوعه بعد تعديل الصفوف يُناشد ربَّه ما وعده من النصر، ويقول : "اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم إني أنشدك عهدك ووعدك") . [2]

– كذلك كان الشعب الجزائري يناشد ربّهُ تحقيق وعده بالنصر :

– وسُقنا سفينَ (الوعد) حُمرا شراعها يُوجهها للنَّصر، من (وعد) النصرا. [3]

– و لبَّـاك شعـب كـاد يفقـد ظنَّه (بوعـدك) لــولاَ أنَّـه يحفظ الذكرا.

– وفي هذه الصورة الشعرية الرائعة، استحضر الشاعر البعد الديني المتأصل في الجزائر، وهذا ماجعله يربط "نوفمبر" وثواره – في ثباتهم وقوتهم وعزمهم– ببدر الكبرى وأبطالها (فقد تجلت في هذه المعركة مناظر رائعة تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ) [4] .

[1] - اللهب المقدس ، ص 309.
[2] - صفي الرحمان المبار كفوري ،الرحيق المختوم : بحث في السيرة النبوية ، ط1 ، دار المستقبل ، 2005 ، ص 144 .
[3] - اللهب المقدس ، ص 305.
[4] - صفي الرحمان المبار كفوري ، الرحيق المختوم، ص 147

هذا الثبات جسّده الرسول الكريم وصحابته(رضي الله عنهم)،فأخذه الشاعر وبَثّه في قصيدته .

– ولمَّا كان "زكريا" يؤمن أن الحرب بين الجزائر وفرنسا قائمة على أساس عقائدي بين الهلال والصليب، الإسلام والمسيحية، فالجزائر جذورها عميقة في التاريخ الإسلامي والشعب الجزائري مسلمٌ قبل كل شيء، لذلك لم يجد ملجأً لرسم صُوره غير الإسلام متمثلا في شخص الرسول(صلى الله عليه وسلم) منهجًا وقيادة و نجاةً من المحنة التي أصابت الجزائر.

– وبالإضافة إلى ذكر الشاعر "لغزوة بدر" في ديوان"اللهب المقدس"، ذكرها أيضا في " الإلياذة " ، فقال :

نوفمبر غيَّرت مجرى الحياة وكنت نوفمبـر مطلع فجر! .

و ذكَّرتنا في الجزائـر بدرا فقُمنا نضاهي صحابة بدر . [1]

– كما وردت في أشعاره ألفاظ كثيرة مرتبطة بالسيرة النبوية في الإلياذة التي كانت تتحدث عن عناصر تاريخية وثقافية ودينية مُعتمدةً على الرمز الديني الإسلامي، ومن هذه الرموز و الألفاظ:

– العقيدة ، في قول الشاعر:

ولولا العقيدة تغمر قلبي لما كنت أؤمن بشعبي . [2]

– وادي قريش، صلاتي، سرا وجهرا :

ويشهد لي في وادي قريش سلوا قلبه ، فهو مني أدرى

وديري الذي كنت أَتْلُو بِه صلاتي مع الليل سرًّا وجهرا. [3]

– مهبط الوحي ، الرسالات،المعجزات :

هنا مهبط الوحي للكائنات حيال النخيل وبين الرمـــال .

ومهد الرسالات للعالميـن ونور الهدى ومصبّ الكمـــال .

هنا العبقريات والمعجزات وصرح الشموخ ، وعرش الجلال . [4]

– محمد ، الجهاد ، النصارى :

[1] -إلياذة الجزائر ، ص 69 .
[2] - المصدر نفسه، ص 21 .
[3] -المصدر نفسه ، ص 25
[4] - إلياذة الجزائر ، ص 36

وآمــن أشبالنــا بالجهـــــاد فعافوا الخنوع وخاضوا الغمارا .

وما كان عيسى ظلومًا جهولاً وكان محمد يرعــى النصارى . [1]

– إضافة إلى ألفاظ أخرى : الشورى ، النبي ، الشهيد ، تسابيح ، إذ لا يكاد يخلو بيت في الإلياذة من ألفاظ السيرة، ما يدلّ على تمسك الشاعر واقتدائه بسيرة سيد الخلق .

– ونجده في موضع آخر يذكر شاعري الرسول (صلى الله عليه وسلم) : "حسان بن ثابت، وكعب بن مالك" فيقول :

وما ذاك إلاّ، أن شِعريَ من دمي يفجره وعيي وحسِّي ووجداني .

وشِعرهُم بدْعٌ من الخلق (مُشكلٌ) ولا رَحِم فيه لكعب ، وحسّان . [2]

–ويقول : وصحابةٌ مثل الصحابة نجدة وكتائبٌ ككتائب الأنصار . [3]

– وبالإضافة إلى السيرة النبوية تأثر الشاعر بالتاريخ الإسلامي عامة، وبشخصياته المجيدة من صحابة وفاتحين وسياسيين، وبأحداثه وقصصه، إذ نجده في قصيدة:"أنا ثائر" يقول : ظلموني

واستباحوا الحَرَما

صحت : وامعتصماه ... .

لطموني

لم يُراعوا الكرما . [4]

– هنا إشارة إلى قصة المعتصم والمرأة في (عمورية)، استخدم "زكريا" حادثة تاريخية معروفة ووظَّفها وأسقطها على ثوار الجزائر، مستحضرًا شخصية "المعتصم الخليفة العباسي" رامزا بذلك للنَّخوة العربية لجعل قضية الجزائر قضيةً قوميةً مُركزاً على الجانب الديني للتأثير في الملتقي، والإيحاء له بأن احتلال الجزائر دافعه صليبي. [5]

– وفي هذه الأبيات بعث "زكريا" عالَمًا شعريا ينتمي إلى تراث أسلافه، إذ نقل زمن النص من الماضي إلى الحاضر، فتوحَّدت معاناته مع معاناة المرأة الهاشمية، وتقاطعت

1 – إلياذة الجزائر، ص 80.

2 - اللهب المقدس ، ص 321.

3– المصدر نفسه ، ص 115.

4– المصدر نفسه ص 123.

5– أنظر: بوجمعة بوبعيو ، وآخرون ،توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، ط1 ، مطبعة المعارف ، عنابة ،2007 ، ص 103 .

الصرخة العربية الماضية مع صرخة الشاعر الحاضرة بحثا عن قائد عربي ثائر يجدد الانتصارات.

– وفي شعر "مفدي زكريا" تظهر شخوص تاريخية بطريقة جاهزة في مثل قوله :

لله درّ أبي ذر وثورته فما لماركس عنه اليوم ألهانا . [1]

– هنا إشارة للصحابي الجليل "أبي ذر الغفاري" الذي هو أول من دعا لتطبيق اشتراكية عربية تعاونية في خلافة الفاروق، وبهذه الإشارة حاول الشاعر إثبات الهوية العربية بالرجوع إلى الموروث، واستحضار شخصية"أبي ذر" وثورته و مبادئه التي سبقت "كارل ماركس"، وهذه المواجهة بين "أبي ذر وماركس" تُبيَّن وعي "زكريا" لذاته العربية ومحاولة إحيائها، واستعاب الآخر .

– وفي قصيدة "فلسطين على الصليب" يقول "زكريا" :

وخلَّدْتُ (حطين) في مقدسي وجـدَّدت غـزوة (أنطاكيه) .

ونـاديـتُ إن خذلـوا ثورتـي من (القادسيـة) أنصاريـه .

وجنَدت من (خالد بن الوليد) (وسعد ابن وقَّاص) أبطاليه . [2]

– ضمّت أبيات "زكريا" أبطال الفتح الإسلامي الذين اتخذهم خلفية لصوره من أجل استثارة الأمجاد، وتحريك الهمم والاعتزاز في القلوب، كما ذكر الوقائع الكبرى :حطين ، القادسية، أنطاكية .

– ويذكرهم "زكريا" مرة أخرى في ديوانه "من وحي الأطلس" لتحفيز أبناء أُمّته ودعوتهم إلى الجهاد، فهؤلاء الأبطال كانوا مضرب المثل في البطولة والفداء :

في القادسية خالد ناداكـم ومن الحجاز محمد المختار .

ولواء سعد رَفّ فوق جيوشنا فكأنَّمـا هـو جيشه الجـرَّار .

ورعيل بدر صاح فينا بادروا إن الجهـاد براعـة وبِـدَار . [3]

1- اللهب المقدس ، ص 298.
2- المصدر نفسه ، ص 343.
3 - أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 350 .

– وفي موضع آخر نجد "زكريا" يوظّف شخصية الصحابي الجليل "بلال بن رباح" بطريقة تصويرية طريفة واصفًا مطامع فرنسا، فيقول :

وفجّر بئرَ مسعود (بلالُ) فأذّن واستمال له الرقابا . [1]

– و"بلال" هنا كناية عن البترول (الذهب الأسود) .

– و"زكريا" رحّب بعقبة لمّا جاء حاملاً رسالة الإسلام إلى الجزائر، فقال :

ومرحى لعُقبـة فـي أرضنـا ينير الحجى، ويشيع اليقينا .

ويُعلى الصوامع في القيروان ويرفعها للدّفـاع حصـــونا .

يبث المراحـل فـي كل فجٍّ فراعـت أساليبــه العالمينا .

وما كان جوهـــر إلاَّ مدينًا لعقبة يــوم استقلَّ السفينا . [2]

– الشاعر هنا يعتز بعقبة الذي وضع خطة جديدة في زحف الجيش الفاتح في طريقه من مصر إلى المغرب، وهذه الخطة هي تأسيس مراحل على طول الطريق مزودة بالماء والزاد والمخيمات ليستريح فيها الجيش ويواصل طريقه بأوفر عدّة...، هذه الخطَّة تعلّمها الألمان وانتفع بها الإنجليزيون في الحرب العالمية الثانية .

– وبمجيء "عقبة" عمّ الإسلام ربوع الوطن، وتعالت الصوامع في أرجائه، فكان "عقبة" رمز دخول الإسلام، ورسالة الحضارة المقرونة برسالة الإسلام التي يساهم الأحفاد المسلمون في رفعها عاليا ، يقول "زكريا" :

وهال ابن رستم أن لا نسود ونبنـي كيانـاً لنـا مستقــلا .

فقام بتاهرت يعلي اللّواء ويرسي نظاماً، وينشر فضلاَ .

فكان ابن حماد من وحيها كأوصافـها عبقريـا وفحـلا . [3]

– ويُواصل الشاعر ذكر "عقبة" في الإلياذة ، فهو قائد الزحف الأكبر في فتوحات إفريقيا.

1- اللهب المقدس ، ص 33.
2- إلياذة الجزائر، ص 43.
3 - المصدر نفسه ، ص 44.

– يقول "زكريا" :

يواكب عقبةُ في الخالد ين، مسيرتها لسواء السبيل .[1]

– أيضا استحضر "زكريا" الشخصية التاريخية "عقبة" في قصيدة "وتكلم الرشاش جلَّ جلاله" في ذكرى احتلال الجزائر، قائلا في وصف الجزائريين يفدون وطنهم بالأرواح :

والشعب أسرى للشهادة عندما ناداه (عقبة) للفداء و (حيدر) . [2]

– وفي موضوع آخر قال :

والتقـى عقبــة هنـا وابـن زيــا دَ ، وموسى يصمّمون الجدارا .

(قصر فرعون) ضمَّه قصر(طه) مثلما أكرم الهلال النصارى . [3]

– ويفتخر "زكريا" بنسب وانتماء الجزائر إلى العالم العربي الإسلامي، فأبناء الجزائر و مجاهدوها هم أحفاد الصحابة والفاتحين، يقول الشاعر :

سرى بالرُّوح دم الفاتحين فأذْكى فيها معاني الفدا . [4]

كما يقول : وانْزل بدارات (سِرْتاَ) مطرقاً أدبا فبين أضلعها آباؤنا الصيد .

وامشِ الهوينا ، ففي أحشائها أمم وفـي جنحهــا أُسد معاميـد .

دم الصحابــة معجــون بتربتــها قَدْ خلدتها على الدنيا الأسانيد . [5]

– ويقول "زكريا" في إلياذته :

وضرغامها الهاشمي الشريف يُذيقُ بُواز العذاب المهين. [6]

– و" الشيخ الشريف الهاشمي" قام بمحاولة انتفاضية على الفرنسيين سنة 1917، لمساندة الخلافة الإسلامية .

– و"مفدي زكريا" كان عليما بتاريخ إفريقيا والمغرب العربي وبطولات شخصياته ، وهذا

[1] - إلياذة الجزائر ، ص 75 .
[2] - اللهب المقدس ، ص 134
[3] - المصدر نفسه ، ص 236
[4] - المصدر نفسه ، ص 105
[5] - المصدر نفسه، ص 263 .
[6] - إلياذة الجزائر ، ص 76 .

ما ساعده على توظيف ذلك التراث التاريخي بما يخدم صوره النابضة بالحياة،كما يصف في هذه الأبيات بجاية حاضرة الحماديين مستحضرا المادة التاريخية عبر مراحل وعصور مرت بها بجاية ، يقول :

أسطورة ، حوضك أم كوثر ؟ يا أيها ذا الشاطئ الأخضر .

أم قصة الأمجاد تشدو بــها في ثغرك الأيام والأعصر .

أم موكب التاريخ في محفـل روائع الذكرى به تزخـــر . [1]

– كما يجمع "زكريا" أعلاَماً كان لهم دور ريادي وإيجابي في التاريخ الإسلامي ، فيقول: عباقر أرض الجزائر كونٌ تموج به المعجزات الجسيمه .

وفي الشرق يبهرنا عبــده فيقفو رشيد خطاه الحكيمــهْ .

وأفغان تروي جهاد جمال فتلهب في الثائرين العزيمـهْ .

وتوري السموريّ في غينيا وشامل والرّوس تلقى الهزيمهْ .

ومختار تلقى به الطائــرا ت ، وفتك سليمان يمحو الجريمه .

وصوت شكيب يهزّ الدنا فترجف منه النفوس السقيمهْ .

طفيش سقياك قطب الأيمَّة ومن عاش بالفكر يصنع أُمّه . [2]

– جمعت هذه الأبيات مفكرين وأئمة وعلماء ومجاهدين : محمد عبده، رشيد رضا تلميذهُ ، جمال الدين الأفغاني ، توري السموري مجاهد بطل مسلم في غينيا، شامل الدغستاني محارب الروس لأربعين سنة، المجاهد عمر المختار، المجاهد سليمان الباروني، والأمير شكيب أرسلان ... كل واحد من هؤلاء العظماء لعب دورا هاماً في التاريخ الإسلامي بجهاد القلم والسلاح والفكر .

– ولا ينسى"زكريا" ذكر انتصار "يوسف بن تاشفين" في واقعة "زلاقة" في رمضان فيقول :

[1] - محمد ناصر ، مفدي زكريا : شاعر النضال والثورة ، ص 145 .

[2] - إلياذة الجزائر ، ص 94 – 95 .

أم (ابن تاشفين) والأسبان تبلعهم زلاقة وهلال الشهر لم يبن . [1]

– أما حين يتحدث عن الدور المشرف للملك "فيصل بن عبد العزيز"فإنه يُحلقه "بصلاح الدين وخالد بن الوليد"، فيقول :

فيا أمل العروبة في الدياجي وحامي المسلمين بلا جدال .

ويا ثاني صلاح الدين فينـا وخالد في البطولة والنضال . [2]

– كما يذكر"عبد الرحمان الداخل (صقر قريش)، وأبطال الأندلس كابن جهور، وابن عباد"، فيقول:

وكأن لم يكن لصقـر قريـش فـي محاربيهـا معابـِد قـــدس .

لم يصنها ابن جهور وابن عبَّـ اد الخليعان في متاهات رجس . [3]

– في بعض الأحيان نجد الشاعر "زكريا" يُوظف أحداثا ذكرياتها مأساوية كحادثة مقتل عثمان التي أخذها متحدثا عن قضية فلسطين التي يريد الحكام استغلالها للابتزاز والتسلط، فقال :

لابن عفَّان قميص واحـد فارحموه ، فهو يأبى الإقتساما .

وضمير النفط حر لم يدع بيد الدولار والروبـل الزمامـا .

وقال :

وقميص عثمان يُباع ويُشترى يحظى به من وفّر التمويـلا .

جعلوا فلسطين الذبيحة بيدقا و فرازن الشطرنـج اسرائيـلا . [4]

– و"مفدي زكريا" كانت له قدرة كبيرة على إحداث تداخل بين الأحداث ونصوصه، فيختار لفظة أو تركيبا دالاً علـى حدث عـادي، ويخلق له صورًا ومعاني في قالب شعري يشير إلى خصوبة وثراء لغته، فمثلا "عبـارة الرجل المريض" التي أُسنِدَت للدولة العثمانية عند سقوطها، أخذها "زكريا"، ونسبها إلى "ديغول" الذي رفض مفاوضة الحكومة الجزائرية،

[1] - أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 351 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 351
[3] - المرجع نفسه ، ص 350 .
[4] - أنظر : محمد ناصر ، مفدي زكريا : شاعر النضال والثورة ، ص 146 .

وتفاوض مع المتمردين، ومن العبارة استوحَى الشاعر العجز وعدم التحكم في زمام الأمور، فقال :

يا أيها الرجل المريض دع المنـــى واربـأ بنفسـك أن تطيـع خيالهـا .

هذي الجزائر ، بعد خمس... لم تزل فوق الجماجم ، تصنع استقلالها . [1]

– وكما استحضر "زكريا" الشخصيات التاريخية الإسلامية بأسمائها، وبطولاتها ومعاركها، لجأ أيضا إلى تضمين أفعالهم وأقوالهم المأثورة الخالدة، ومنها قول "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه):" إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة "، أخذ الشاعر هذه القولة معبرا عن رأيه في العجز الذي لا يحقق النصر والمعجزات، بل لا بد من الكفاح والنضال :

ولا تطمعوا في المعجزات بدافع من العجز، إن السحب لا تمطر التبرا . [2]

– وفي عبارة "عمر بن الخطاب" وبيت الشاعر تحريك للهمم، وإيقاظ للنفوس النائمة.

– وإضافة إلى ما سبق ذكره ينبغي الإشارة إلى أن "زكريا" لجأ إلى نوع دقيق من التضمين لرموز عديدة تشير إلى القومية العربية الإسلامية ،ومنها اللون الأخضر؛ لون راية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والهلال، والنخلة ... ، أما اللون الأخضر فقد ذكره كثيرا، فهو حين يتحدث عن معركة "الثلاثة أيام" الضارية المشهورة بقيادة المجاهد "محمد الأخضر" الذي أباد جيش العدو يقول :

وأخضرُ يحصد حُمر الحوا صل فيها ، ويقطع منها الوتين . [3]

– أما في حديثه عن تونس الشقيقة فإنه تارة يذكرها بلفظها، وتارة بلفظ الخضراء، فيقول :

وتفيَّأ ظلالها فهي خضــراء ففي قدسها يطيب المقام . [4]

– كما يقول في قصيدة "فلا عزّ حتى تستقِلَّ جزائِر" :

وإن ساومونا في التفاوض إنَّنا أَلِفْنَا رِهانًا حول مائدة خضراء . [5]

---

[1] - اللهب المقدس ، ص 160 .
[2]- أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 159 .
[3] - إلياذة الجزائر ، ص 76 .
[4] - اللهب المقدس ، ص 241
[5]- المصدر نفسه ، ص 311 .

أما "الهلال" رمز الإسلام، فقد كان الشاعر يُتبِع ذكره غالبًا بذكر "الصليب" رمز المسيحية، وفي هذا إشارة إلى أن حرب التحرير هي حرب بين الإسلام والمسيحية .

– يقول "زكريا" متحدثا عن زلزال "أغادير" بالمغرب الأقصى، وكيف همَّ الجميع لنجدتها :

قامت الدنيا إلى نجدتها والتقى فيها هلال وصليب . [1]

– وفي ديوان "من وحي الأطلس" يتحدَّث الشاعر عن تَوَحُّد العرب كرجل واحد في وجه الغرب بشأن تصدير البترول إلى أوربَا سنة 1973، فيقول في الملك "فيصل" الذي تبنَّى هذا الموقف إجلالا له وإحتراما :

وأعلن في سبيل الله حربا مقدّسة هوت بالاحتلال .

وأمْعَن في غوايته صليـب فأرغف أنفه غضب الهلال . [2]

– أما "النخيل" رمز القومية العربية الإسلامية، فقد ذكره "زكريا" في مواضع كثيرة، ففي البيت التالي يجعل الشاعرُ النخيلَ بمثابة راوٍ عن بطولات بسكرة المجيدة التي تُحكى للفاتح "عقبة" :

وتروي النَّخيل لعقبــة عنـَّا وتحكِ الرمال صمود القساور . [3]

– كما يقول مفتخرا بجمال بسكرة وواحاتها، وبطولاتها، ذاكرًا النخيل في معظم الأبيات :

وساجل بسكرة نجوى الأصيل وهمـس الرمــال بأُذن النخيــل .

ويبهرك منها انسكاب النجو م، على وجنات النخيل الجميل .

وبين النخيل وبين الرمــال عزائــم تهـزأ بالمستحـيــل . [4]

– ويواصل الشاعر تباهيه بصحراء الجزائر ونخيلها، فيقول :

وهزت مريم العذراء نخيلاً فأسقطت الفلوذج والرضابا . [5]

---

[1] - اللهب المقدس ، ص 168 .
[2] - أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 156 .
[3] - إلياذة الجزائر ، ص 56 .
[4] - المصدر نفسه ، ص 75 .
[5] - اللهب المقدس ، ص 37.

– لقد تعلّق كل نص ثوري لمفدي زكريا بالتراث والتاريخ العربي الإسلامي من أجل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية والتراث الحضاري للفرد الجزائري في مواجهته للاستعمار ، فالثورة اقترنت بأحداث الأمة العربية ، ولذلك قلَّما خلت قصائده من ألفاظ وتراكيب تعبّر عن حنينه للماضي واستثارته للأمجاد التاريخية العربية تعبيرا عن رفض الذوبان والاندماج مع الآخر ، وتعزيزا للانتماء العربي الإسلامي.

وتشبُّع "زكريا" بالثقافة العربية الإسلامية هو ما دفعه إلى هذا المعجم التاريخي المجيد ،كما فعل الشعراء الجزائريون قبله ،(فهذا المعجم إنما يعبِّر عن تمسك هؤلاء الشعراء بالأثر الإسلامي قراءة وحفظًا ، فهو النموذج الذي يجب أن يحتذوه في معاناتهم حيث بدت الغربة الروحية والفكرية ، والمعاناة الجسدية داخل السجون موجهًا لهذا المعجم ، ومن أجل هذا بدت الألفاظ المقتبسة حالات ومواقف تعبِّر عن همومهم وظمأ أرواحهم إلى التاريخ الجيد الماضي) . (1)

– فهؤلاء الشعراء بحثوا عن ذواتهم في تاريخهم المجيد الذي يحقق لهم ما عجزوا عنه في ظل الاستعمار ، وقد زاد إحساسهم بالتاريخ وتعلقهم ببطولاته لما ظنوا أن وطنهم سيضيع ، فلجأوا إلى المادة التاريخية لتخفف غربتهم ، "ومفدي زكريا" واحد من هؤلاء الشعراء الذين استلهموا من الأحداث والرموز المستقاة من التراث والتاريخ الإسلامي .

1 -عمر بوقرورة ، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث ، ص 198 .

ثانيا : أثر القيم الإنسانية والإسلامية في شعر مفدي زكريا :

– تعددت المنابع الثقافية لمفدي زكريا ، إذ شملت القرآن الكريم ، والتراث العربي الإسلامي بتاريخه وقيمه ، إضافة إلى البيئة المحافظة التي نشأ فيها ، فوظَّف "زكريا" قيمًا إسلامية موروثة فيها القوة والقدرة على المواجهة والتحدي ،لذلك دار شعره حول محاور أساسية : هجر الواقع الرديء في ظل الاستعمار ، نبذ الأخلاق الفاسدة والضمير الميت ، الإعتزاز بالوطن وحبّه ، الحنين للحرية ، وبذلك أصبحت آثاره مدرسة مليئة بالتوجهات التربوية ، تثبت القيم النبيلة الداعية للتشبث بالأصالة ، وهذا يرجع إلى التجارب الصوفيَّة التي مرّ بها "زكريا" ، فأثّرت في مواقفه الفكرية وفلسفته الأخلاقية ، يقول الدكتور "عبد الحليم بليع" : (لقد كان للحياة الروحية في تاريخ الإسلام أثر عميق في خلق اتجاه أدبي له سمات ، ومميزات خاصة ، حيثُ أضافت إلى تراثنا الأدبي جانبًا ضخما ، فسيح الجوانب يتشكل بقيمتها وأهدافها ، وينبثق في شكله وبمضمونه من تجاربها الوجدانية العميقة التي هي خلاصة صراع بين الروح والجسد ، ونهاية معركة بين الحق والباطل ... مما لا شك فيه أن الحياة الروحية في الإسلام – وبخاصة التصوف– تعتبر تجربة من أخصب التجارب النفسية والوجدانية التي أمدّت أدبنا العربي شعره ونثره على السواء بمادة خصبة واسعة ، وأغنت جوانبه بذلك اللون الممتع الذي يُشرق بصفاء الإنسانية حيثما تتحطم أغلال الجسد وتتحرر من عبودية المادة وتتسامى إلى عالمها الأمثل الذي يشرق بكل قيم الخير والحق والطهر والجمال)(1)

– والقيم الأخلاقية الإسلامية تبدو أشد بروزا في شعره ، والأخلاق في نظر الإسلام تتمحور حول : كرامة الإنسان وحريته ، فالإسلام حرَّر الإنسان من الاستعباد وعتقه بالعدل ، وبثّ في نفسه الأمل والخير والمحبة .

– وقد تضافرت عوامل عديدة لفلسفة الأخلاق في شعر "زكريا" منها :

1- أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 223 .

أ – عوامل فلسفة الأخلاق في شعره :

1/ التربية والأخلاق الإسلامية :

– تشبّع "مفدي زكريا" بالمبادئ والقيم العليا في بيئته الدينية المحافظة ، حيث تشرّب العلم والدين والتربية الصالحة الصحيحة ، نتيجة حفظه للقرآن الكريم وتعلمه للمبادئ الإسلامية (شرب – زكريا– تعاليم الإسلام ومبادئه وهو لا يزال طفلا يتردد على الكتاتيب في مسقط رأسه بني يزقن) (1) كما أن البعثة الميزابية التي احتضنته اتخذت الإسلام منهجا وسلوكا ، والشاعر تأثر بمنهجها إذ رأى أن الإسلام حل لكل مشكلة أو قضية عربية :

ولولا الوفاء لإسلامنـــا لما قرّر الشعب يومًا مآلـه .

ولولا تحالف شعب وربّ لما حقق الشعب يومًا سؤاله . (2)

– فأخلاق الشاعر مصدرها : التربية الصالحة ، التعليم الهادف ، والدين الإسلامي ، يقول : شربت العقيدة حتى الثمالة فأسلمت وجهي لربّ الجلالة .

إذا الشعب أخلف عهد الإله وخان العقيدة ، فارقب زواله . (3)

ويقول : هي الأخلاق في الدنيا دليل إلى درب العلا يحدو الشبابا .

هي الأخلاق معجزة البرايا على هاماتها تطأ السحابـا . (4)

2/ الأخلاق والإبداع :

–اتسم "مفدي زكريا" بالأخلاق الإبداعية ، وناشد الفضيلة في شعره من خلال تغنيه بثورته وبطولات شعبه ملتزما بمبدأ الحرية الإنسانية ، و"زكريا" ربط الأخلاق بالإبداع والإبداع بالأخلاق ،فقد كان مدركا لجماليات الشعر ومُبدعا ، إذ عاش ظلم الاستعمار ، كما عاش فرحة الحرية ، فصوّر ظروف بلاده وحالتها الاجتماعية في لهجة وجدانية رابطًا القيم الجمالية والأخلاقية. كما صوّر حياة الجزائر والعرب بكل اختلالاتها وتوازناتها ، فجاء شعره صادقا معبرا عن حقائق الحياة وكان إبداعه واقعيًّا يصوّر المعاناة ،فالشاعر خَبَر الظلم والألم في عهد الثورة واكتوى بنار ومعاناة السجون

1- حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 205 .
2- إلياذة الجزائر، ص 89 .
3- المصدر نفسه ، ص89
4- أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 215 .

كما فاضت الأخلاق في قصائده بشتى الصور : بطولة ، إيمان وإرادة نابعة من روحه الدينية وتربيته وفهمه الواعي للحياة الثورية ، فالإسلام زكّى قيم الخير والحق والجمال ، كما أشاع العدل ورفع الظلم والاستعباد ، ودعا للمُثل العليا ، وكل هذا كان له تأثير في قصائد الشاعر .

ب – أهم القيم الإنسانية و الإسلامية في شعره :

1/ الخير والحق :

– تظهر القيمتين في معظم قصائده ، فالصراع كان قائما بين شعب يسعى للحق والخير ومستعمر ينشر الشر ويسعى له ، والخير عند "زكريا" ارتبط بالاستقلال والسلم ورفع الظلم ، أما الشَّر فهو حرب ظالمة أشعلها الاستعمار الفرنسي، والشاعر كان يدعو إلى فكّ قيود الشر سواء بالسلم أو الحرب من أجل الكرامة ، فقال :

ونحن بنو السلام فإن لجأنا إلى الحرب ، فقسرًا وإضطرارا .
عقدنا اليوم مؤتمرا و إنّا أخذنـا في الجهـاد به قـرارا .
فإن سلمًا فنحن دعاة سلم وإن حربا ، فحربٌ لا تُجـارى .(1)

– لكنه يرى أن الشر "الاستعمار" لا يفهم لغة السلم والحق بل لغة الحرب والثورة ، فيقول: وحرب للكرامة في بـلاد مضت تفتكُّ عزّتها غلابا .
وأوفدتِ الرصاص ينوب عنها يناقش غاصب الحقّ الحسابا .(2)

– فهذه الحرب التحريرية دفاع عن حق الوجود والبقاء ، ودفاع عن الذات والحق في الاستقلال والعزة ، يقول "زكريا" :

والشعب شق إلى الخلود طريقه فوق الجماجم والخميس لهام .
وأثارها حربًا لأجله بقائه قربانها الأرواح والأنسام . (3)

– ثم يندد "زكريا" بشر العدوّ وآثامه وجرائمه في حق شعبه ويحصي مؤامراته وعدوانه ، فيقول :

1- اللهب المقدس ، ص 153 .
2- المصدر نفسه ، ص 32 .
3- المصدر نفسه ، ص 45 .

لا النار لا التقتيل يثني عزمه لا السجن لا التنكيل ، لا الإعدام .

لا الذاريات الماحقات هواطلا لا الشامخـات تدكُّها الألغـام .

لا للفظاعة من وحوش جُوّع تسمو على أخلاقها الأنعـــام .(1)

– ويسترسل الشاعر في ذكر رذائل المستعمر في مقابل الثورة التي هي خير وحق :

وضعت فرنسا في النذالة بدعة لم تروها الأعمار ، وهْي ظلام .

ولتشهد الأكوان أقدس ثـورة للحق حارت دونهَا الأفهـام .

ياثورة التحرير أنت رسالـة أزلية إعجازهـا الإلهـــام .(2)

– فشعره ندّد بالظلم والعدوان ، وناشد الاستقلال والكرامة والخير لوطنه ، إذ قال :

حقوقنا بدم الأحرار نكتبها لا الحبر ، أصبح يعنينا ولا الورق . (3)

– ونفس الشاعر كانت أبيّة لا ترضى إلاّ بالخير ، تكره الخداع ، فزكريا كان يتسامى للأعالي ويدعو للثورة والحق الذي يتصل بأبعاد فيها الرحمة والأخوة والبناء والوحدة والتعارف والوفاء بالعهد ، يقول الشاعر معاتبا العرب على مواقفهم المخزية :

تعالى الله عاقبنا لأنَّا خفرنا عهده بالإنخذال . (4)

– إن معاني الحق والخير تتوحد مع الحرية والعدالة في شعره .

2/ الحرية والعدالة :

إن الخير يشمل الحرية والعدل ، أما الظلم والاستغلال فيشمله الشر ، ولقيمتي الحرية والعدالة وهب الشاعر حياته فداءً ، فسُجن وجاهد وأُعْتُقل ، فأحسّ بضرورة وحتمية الاستقلال ، فخطّ بدمه عبارات الأمل والحرية مُعلنًا الحرب لتحقيق الحرية والعدالة ضد الظلم والعبودية ، إذ يتلازم الحق والخير مع الحرية والعدالة ، فهاتين الأخيرتين حقٌ ، يقول "زكريا" :

ونحن العادلون إذا حكمنا سَلوا التاريخ عنّا والكتابا .

ونحن الصادقون إذا نطقنا ألفنا الصدق طبعا لا اكتسابا .

1- اللهب المقدس ، ص 45.
2- المصدر نفسه ، ص 46
3- المصدر نفسه ، ص 28 .
4- أنظر : حواس بري ، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم، ص 156 .

وعن أجدادنا الأشراف إنَّا ورثنا النبل والشرف اللّبابا . (1)

– فالعدل عند العرب المسلمين ارتبط بصفات أقرها التاريخ الإسلامي ، ورسّخها القرآن الكريم في دم المسلم ، وهذا ما اتصف به الشاعر وشعبه ، إذ تشرب معاني العدل ، و "زكريا" يربط الحرية والعدل بالمساواة والاشتراكية في مرحلة ما بعد الاستقلال التي كانت تنشد العدالة الاجتماعية ، فيقول :

الاشتراكية البيضاء مذهبها والشعب في فلكها ما انفكّ ربّانا . (2)

– وهو يرى في حرية الجزائر واستقلالها حقًا وعدلاً ، فيقول واصفا ثورة الجزائري الباسل :

له فوق الجماجم قد صعدنا وفي تحقيقه ، خضنا الغمارا .

فلا نرضى به أبدًا بديلاً نعيم الخُلد لو نُعطى الخيارا . (3)

– ولغته هنا كانت قوية ، كلماتها ثائرة لتحريك الهمم وهز النفوس ، فالشاعر ملتزم بقضايا وطنه وأمته ، معبرٌ عنها في تحدي وشجاعة .

– والشاعر يثير الحماس في الشعب ليمضي نحو العلا في سماء الحرية ،فيتحدث عن ظلم العدو الغاشم الذي هزّ قيم العدل والحرية ، لكن الشعب الجزائري ثار وتحداه :

ثرنا على الظلم لا نلوي على أحد لا شيء في الكون دون العز يرضينا .(4)

– والحرية لا بد لها من تضحيات ، ودم ، وموت ، والسلم لا بد له من حرب عادلة ، يقول الشاعر :

نطق الرصاص فما يُباح كلام وجرى القصاص فما يُتاح ملام .

وقضى الزمان فلا مردّ لحكمه وجرى القضاء وتمت الأحكام . (5)

– ويقول : مصيرنا بالدّم الغالي نقرره في محفل الموت لا في عقد مؤتمر . (6)

– أيضا الحرية لا بد لها من إرادة وشجاعة وتحدي ، وتضحية بالغالي والنفيس وبالروح.

1- اللهب المقدس، ص 38
2- المصدر نفسه ، ص 298 .
3- المصدر نفسه ، ص 155
4- المصدر نفسه ، ص 151 .
5- المصدر نفسه ، ص 42
6- المصدر نفسه ، ص 142 .

3/المحبة و الأمل: لقد حثّ الإسلام على المحبّة أي الإحسان وحب الخير وفعله ، حتى تتحقق سعادة الإنسان و"زكريا" أحب وطنه وشعبه وأمته ، وضحّى من أجل هذا الحب الأسمى ، حب الحرية والخير والاستقلال ، حب الفضيلة والجمال .

– وحب الشاعر الأول والأخير كان الجزائر ، وأمله الوحيد كان استقلالها ، ومبادئه وتربيته أبعدته عن أي شعور سلبي فلم يعرف اليأس أو الاستسلام ، بل تحدى الاستعمار بإرادة وأمل في تحقيق الخير ، فأحب الثورة ورجالها وشهداءها وشعبها ، وأحب الجزائر والمغرب العربي وإفريقيا والعرب ، و بعد اغترابه نما إحساسه وحبّه لوطنه الجزائر وازداد التهابا ، فقال :

وقالوا هجرت ربوع البلاد وهِمْتَ مع الشعر في كل وادي .

أجل فقد بعدت لأزداد قربا ويلهب حب بلادي فؤادي . (1)

– و"مفدي زكريا" وهب بلاده الفكر والعمر حتى تحيا سعيدة مستقلة :

وإذا عشقت فشاعر متصوف ما صاغ ربك قلبه جلمودا . (2)

– أما الجمال فقد رآه الشاعر دليلا على وجود الله وعظمته وعزته :

فتح الجمال إلى الإله طريقه فتعمَّقِ الإيمان والتوحيدا . (3)

– والأمل نجده في كل دواوين الشاعر ، فنجاح الثورة هو أمل تحقّق ، و "زكريا" نبذ اليأس والخمول ، متحدثًا عن الثورة والحب والعدالة بأمل وثقة روحية ، فقال :

ونُلقي دروسًا في البطولة للورى ونترك للأجيال عن حربنا خُبرا .

وتشرق في الدنيا رسالات بعثنا فتَبْيَضُّ بالإشعاع إفريقيا السمراء . (4)

– كما دعا إلى تضامن ووحدة العرب متأملا شعبه المكافح ليكون مثالا وعبرة .

1- إلياذة الجزائر ،ص 117 .
2- أنظر : حواس بري، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ، ص 225 .
3- المرجع نفسه ، ص225
4- اللهب المقدس ، ص 311 .

4/ الفضيلة :

– الفضيلة مجموعة أخلاق إيجابية دعا إليها الإسلام ، و"زكريا" تأثر بها ، إذ نجد في شعره فضائل عديدة منها : الشجاعة والحزم ، العزم ، الصمود ، الصبر ، والصدق ، النخوة ... وهذه الفلسفة الأخلاقية رافقت الثورة وكانت سببا في الاستقلال وهذه الفضائل تقابلها رذائل الاستعمار من ظلم ، جبن ، وخداع ، ومكر ... أما رذائل المجتمع آنذاك فمنها : الخمول ، الجهل ، الخيانة ، واليأس .

– وفلسفة الأخلاق عند "زكريا" قامت عليها أبعاد إصلاحية تربوية، فاستنهض بها الهمم ، ودعا للاستقامة والصلاح ، فقال مبديًا تمسكه بالمبادئ الدينية والخلقية ، وقلقه على أبناء وطنه وخوفه من تفرقهم وضياع كرامتهم :

أصلحوا ذات بينكم واستقيموا إن فعلتم : سيجعل الله أمرا . (1)

كما يقول : خذوا بيد الشباب و جنّبـــوه مذاهب شوهت فيه الإهابا . (2)

ويقول : نحن قوم أُباةْ

ليس فينا جبان . (3)

– في هذه الأبيات يفتخر الشاعر بقوة عزيمة الشباب الجزائري الذي لا يعرف الجبن ، فإيمانه أمدَّه بالقوة .

– ويقول حاثًا الشباب على العمل ونبذ العجز ، داعيا إياهم للصبر والصدق والإيمان :

طبائعنا صالحات جليلة تعاف انْحلال النفوس الذليله .

وتأبى رجولتنا الإبتذال وأحلاسه والشعور الطويله . (4)

ويقول : وآمــن أشبالنا بالجهــاد فعافوا الخنوعا وخاضوا الغمارا .

وفجّر أصلابنا في حماها براكين تنصبُّ حقدًا ونارا . (5)

– فأشبال الجزائر وأطفالها ورثوا ورضعوا البطولة والشجاعة في خوض الحروب .

1- اللهب المقدس ، ص 283 .
2- حواس بري، شعر مفدي زكريا : دراسة وتقويم ،ص 215 .
3- اللهب المقدس ،ص 84 .
4 -إلياذة الجزائر ، ص 90
5- المصدر نفسه، ص 80 .

– لقد حمل "زكريا" في شعره أبعاد فلسفته الأخلاقية التي ظهرت جليّة في دواوينه ، إذ جمع الإبداع ولغة الجمال والأسلوب الراقي ومضامين خدمت بلاده ومجتمعه وأمته العربية الإسلامية لما فيها من أفكار أخلاقية ،وحماس ثوري مطالبًا بالحرية والعدل ، داعيًا إلى إصلاح المجتمع بمحبة وصدق .

لقد ارتبط " مفدي زكريا" بثقافته الإسلامية واعتمد عليها كثيرا في رسم صُوره الشعرية المجسدة لثورة التحرير الكبرى من أجل توعية الشعب الجزائري، وبث الأمل والشهامة والنخوة العربية فيه حفاظًا على هويته الإسلامية ، ولذلك حضرت الشخصيات التاريخية القديمة ببطولاتها وأمجادها مصبوغة بأبعاد معاصرة جعلتها قادرة على الحياة حاضرا ومستقبلا ، معبرة عن حماسة الشاعر وانتمائه إلى الأمة العربية ، وقدرته وبراعته في استحضار الثقافة والرموز الدينية الإسلامية ، ودفع المتلقي للتفاعل معها والامتزاج بها .

❖ **الفصل الثالث: قصيدة :"الذبيح الصاعد" أنموذجاً:**

1 – نص القصيدة.

2 – موضوع القصيدة .

3 – تجليات الروح الدينية في القصيدة .

1/ نص القصيدة :

الذبيح الصاعد : [1]

قام يختال كالمسيحِ وئيـــــدا ... يتهادى نشوان يتلــو النشيدا.
باسمَ الثغر كالملائك أو كالط ... فل يستقبل الصباح الجديــدا.
شــامخاً أنفــه جــلالاً وتيهًا ... رافعا رأسه يُناجي الخـــلودا.
رافلا في خلاخل زغردت تمـ ... ـلأ من لحنها الفضاء البعيدا.
حالما كالكليم كلمه المجـــــ ... ـد فشد الحبال يبغي الصعودا.
وتسامى كالروح في ليلة القد ... ر، سلاما يشع في الكون عيدا.
وامتطى مذبح البطولة معــ ... ـراجا، ووافى السماء يرجو المزيدا.
وتعالى مثل المؤذن يتلـــو ... كلمات الهدى ويدعو الرقـــودا.
صرخة ترجف العوالم منهــا ... ونداء مضى يهز الوجـــودا
«أشنقوني فلست أخشى حبالاً ... وأصلبوني فلست أخشى حديدا»
«وامتثل سافراً محياك جـــلا ... دي، ولا تَلْتثِم ، فلست حقودا»
«واقض يا موت فيَ ما أنت قاضٍ ... أنا راض إن عاش شعبي سعيدَا»
«أنا إن مِتُّ فالجزائر تحيـَــا ... حـــرّة مستقلة لن تبيـــــــدَا
قولة ردَّدَ الزمَان صدَاهـَــــا ... قُدسيًا، فأحســـن التردِيـــــــدَا
احفظوها زكية كالمثانـــــي ... وانقلوها للجيـــل ذِكْــرا مجيدا
وأقيموا من شرعهــا صلـواتٍ ... طيبـــات ولقنوهـــا الوليدا

[1] -اللهب المقدس، ص 09

زعمُوا قتـلوه ومـــا صلبـوه ليـس في الخالدين عيسى الوحيدا
لفَّـــهُ جِبريل تَحت جناحـيـ ـه إلى المنتهَى رضيًّا شهِيـــــدا
وسرى في فم الزمان «زبانـا» مَثـلاً فـي فـم الزمـان شـرودا
يا «زبانا» أبلغ رفاقـك عنـا في السموات قد حفظنا العـهودا
وَ ارْوِ عن ثورة الجزائـر للأف ـلاك والكائنـات ذكرًا مجيـدا
ثورة لم تكن لبغـي وظلـم فـي بلاد ثارت تفكُّ القيـودا
ثـورة تمـلأ العـوام رُعبـًا وجِهـاد يذرو الطغاة حصيـدا
كم أَتيْـنَا من الخـوارقِ فيها وبهرْنـا بالمعجـزات الوجـودا
واندفعنـا مثل الكواسر نرتـا د المنايـا ونلتقـي البـارودا
من جـبال رهيبة شامخـات قـد رفعنـا على ذُراها البنودا
وشِعـابٍ مُمَنَّعـات براهـا مبـدع الكون للوغـى أخدودا
وجيوش مضـتْ يد الله تـز جيها وتحمـي لواءهـا المعقـودا
من كهول يقودها المـوت للذ صـر فَتَفْـتَّكُ نصرهـا الموعودا
وشبـاب مـثل النسور ترامى لا يُـبالـي بروحـه أن يجـودا
وشيـوخ مُـحنَّكِـين كـرام مُلـئتْ حـكمة ورأيـا سديـدا
وصبايَـا مُخـدّرات تـبارى كـاللّـبوءات تسـتفـز الجنـودا
شاركـت في الجهاد آدم حوا ه ومـدّت معاصمـا و زنـودا
أعْمَلت في الجِراح أنملها اللّ دن وفي الحرب غصنها الأملودا.

فمضى الشعبُ بالجماجمِ يبني أمــة حــرة وعــزا وطـــــيدا
من دماء زكية صبَّــها الأحـ ـرار في مصرف البَقاء رصيدا
ونظام تخطه ثـــورة «التحـ ـرير» كالوحي مستقيما رشـيدا
وإذا الشعب داهمته الرزايـــا هبَّ مستصرخا وعاف الركودا
وإذا الشعــب غازلته الأماني هام فــي نَيْلِــها يدُكُ الســدودَا
دولــة الظُلــم لــلزوال إذا ما أصبــح الحــر للطّغام مسودَا!
ليس في الأرض سادة وعبيد كيف نرضى بأن نعيش عبيدا!؟
أمن العدل صاحب الدار يشقى ودخيــل بهــا يعـيش سعيدا !؟
أمن العدل صاحب الدار يعرى وغريــب يحتــل قصرا مشيــدا؟
ويجــوع ابنهــا فيَعْــدم قَوتـــــا وينال الدخيل عيشا رغيـــدا؟؟
ويُبِيح المستعمــرون حماهـــا ويَظــلّ ابنهــا طريــدا شريدا؟؟
يا ضلال المستضعفين إذا هم ألفو الذلّ واستطاب والقــعودا!!
ليس فـــي الأرض بقعة لذليل لعنتـــه السما فعاش طريدا....
ياسماء أصعقي الجبان ويا أر ض ابلعي القانع الخنوع البليـدا
يا فرنسا كفــا خــداعــا فإنــا يا فرنســا لقــد مللنــا الوعــودا
صــرخ الشعــب مــنذرًا فتصــا ممــت وأبديْتِ جفوة وصــدودا
سكت الناطقون وانطلق الرشـ ـاش يلقــى إليْكِ قولا مفيـــدا
«نحن ثرنا فلات حين رجوع أو نــنال استقلالــنا المنشودا»

يـا فرنسا امـطري حديدا و نـارا واملئي الأرض والسماء جنودَا
واضرميهـــا عرض البلاد شعاليـ ل فتغدو لها الضعاف وقــودَا
واستشيطي علـــى العروبة غيضا واملئي الشرق والهلال وعيـــدا
سوف لا يعدم الهلال صـلاح الـد ين فاستصرخي الصليب الحقودا
واحشري في غياهب السجن شعبا سِيـــم خسفـــا فعاد شعبا عنيدا
واجعلي بربروس مثـوى الضحايـا إن فـــي بربروس مجدا تليـــدا
واربطـــي في خياشم الفلْكِ الـــدو ار حبـلا وأوثقـــي منـه جِيـــدًا
عَطِّلِـــي سنـــة الإله كما عطَّـ لْتِ من قبل«هوشمين1»المريدا..
إن من يُهْمل الدروس وينســـى ضربـــات الزمـــان لن يستفيـدا..
نَسيَت درسهـــا فرنســـا فلقنَّـا فرنســـا بالحرب درســـا جديـدا!
وجعلنا لجـندها (دار لقمـــان) قـبورا مـــلء الثـرى ولحـــودا!
يـــا «زبانا» ويا رفـاق «زبانـــا» عشتـــم كالـوجود دهـــرا مديدا
كل من في البلاد أضحى «زبانـا» وتمنـــى بأن يمـــوت شهـــيدا !!
أنتـــم يا رفاق قربـــان شعـــب كنتـــم البعـــث فيـــه والتجديدا!!
فاقبلوهـــا ابتهالة صنع الرشـــا ش أوزانهـــا فصـــارت قصيـــدا
واستريحـــوا إلى جـــوار كريـــم واطمئنـــوا فإننـــا لـــن نحيـــدا!!

[1]- هوشمين: اسم محرر الهند الصينية

2/ موضوع القصيدة:

موضوع القصيدة جليل، حيث نظمها "مفدي زكريا" لرثاء الشهيد" أحمد زبانا1" أثناء إعدامه بالمقصلة في سجن "بربروس" ، في الساعة التاسعة ، في الهزيع الثاني من الليل،في ليلة 18 جويلية1955، فكان أول شهيد يدشن المقصلة ، و"زكريا" تأثر بمشهد إعدام رفيقه"زبانا" فتفجرت ألفاظ القصيدة من أعماقه واصفة المشهد المريع الذي وقع في غمرة لهيب الثورة الجزائرية ،فكانت قصيدة "الذبيح الصاعد" علامة خالدة في جبين شعر الثورة الجزائرية، إذ تعد رائعة ديوان اللهب المقدس ودرته لما تميزت به من سمو المعاني وقوة الصياغة والشعور، وسهولة الألفاظ وتوافقها وجزالة التراكيب وإحكام نسجها، إضافة إلى وزنها الخفيف الذي يتسم بغنائية رائعة، فظهر الشهيد "أحمد زبانا" وكأنه يزف إلى دار الخلود، فالشاعر"مفدي زكريا " (أبدع حين مزج في قصيدته بين التعبير عن الجمال الروحي للشهيد على السفاحين الذين ارتكبوا في حقّه أبشع الجرائم)2

والقصيدة تبدأ بوصف الشهيد في سيره إلى المقصلة وهو يقترب من الموت بكل ثقة وصلابة، ثم يصور"مفدي" معارك الثوار ضد المستعمر الفرنسي، فتبدو واقعا ماثلا ومشخّصا أمام المتلقين ، كما يشيد الشاعر بشباب وشابات الجزائر وشيوخها المحنّكين في مواجهة الطغاة الظالمين ، ثم يوبّخ فرنسا على جرائمها متوعدا إياها برد الجزائريين الذين لا يهابون الموت فداء لوطنهم.

[1] – أحمد زبانا ولد سنة 1926م ، شعر بمعاناة شعبه بعد إنضمامه للكشافة الإسلامية ، فانضم لصفوف الحركة الوطنية عام 1941م ، قاد عمليات عديدة ناجحة ضد الاستعمار ، فأسر وحكم عليه بالإعدام في سجن بربروس– أنظر سلسلة من أمجاد الجزائر ، لشهيد أحمد زبانة ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 2009.

[2] - سهام خرفي ، مفدي زكريا شاعر الثورة ، ط1 ، دار قرطبة، الجزائر ، 2005 ، ص13 .

3 / تجليات الروح الدينية في القصيدة :

في شعر "مفدي زكريا "عامة ،وفي القصيدة "الذبيح الصاعد" خاصة يتجلى تأثر الشاعر بالثقافة الإسلامية التي تشرّبها، سواء كانت قرآنا كريما (تضمينا واقتباسا) أو حديثا شريفا أو تاريخا إسلاميا خالدا ،ولهذا جاءت القصيدة نصا قويا ودليلا على براعة الشاعر في استغلال التراث الإسلامي الذي يبدأ ب:

أ-القرآن الكريم:

- في قصيدة "الذبيح الصاعد" نهل"زكريا" من المعين القرآني كثيرا ,في ألفاظه وعباراته وصوره وقصصه، فالشاعر استقدم حادثة "صلب المسيح"(عليه السلام)والتي هي من صميم العقيدة الإسلامية والتاريخ المقدس ، و"زكريا" آمن أن المسيح (عليه السلام) وزبانا ضحّيا من أجل أمر مقدس ورسالة نبيلة ،كما صبرا على نتائجها و عواقبها ،فصورة "المسيح" رمز الطهر والصفاء وهو يصلب كما خُيّل لليهود ظلت عالقة في ذاكرة الشاعر،فلما أراد التعبير عن ثبات وصلابة الجزائريين في جهادهم أمام الموت ، لجأ إلى تلك الصورة التي تجعل الموت طريقا للحياة ، ونورا لمبادئ الجهاد والتضحية في أذهان المجاهدين الجزائريين فزكريا تأثر بمشهد إعدام رفيقه "أحمد زبانا" فراح يصور تحديه للعدو الظالم ولم يجد الشاعر أفضل من قصص الأنبياء مثالا للتضحية والفداء، لذلك استقى من القصص القرآني لرسم ملامح الشهيد "زبانا" في سيره نحو المقصلة فكان مختالا كالمسيـــح، وفي هذا دليل على شجاعته و ثباته و إيمانه بقضية وطنه و نصر ربّه ، كما آمن المسيح قبلـه برسالته وحمايــة الله لدعوته، وفي هذه الصورة حوّل الشاعر مشهد الجنازة إلـــــى عرس ملـــــيء بالأناشيد ،فالشهيد أعطى إشارة الانطلاقة الحقيقية للثورة و التضحية ، يقول"زكريا":

قام يختال كالمسيح وئيدا ... يتهادى نشوان يتلو النشيدا

- قرر الشاعر هنا أن الشهيد والمجاهد الجزائري يتحدى في سبيل وطنه ودينه الطغاة مرحّبا بالموت، ولذلك رفع "مفدي" الشهيد إلى مرتبة المسيح ، هذه الشخصية التاريخية القرآنية بتأثيرها العميق في فكر المتلقي العربي ، فعيسى المسيح هو رمز البطولة والصبر أمام الشدائد وتحمل الصعاب، ورمز سمو الروح وعظمتها .

- ويواصل" زكريا " وصف الشهيد مقدما نفسه قربانا للوطن ، فيشبهه بكل ما يحمل معنى الطهر والصفاء والبراءة ، فيقول:

باسم الثغر كالملائك أو كالط ... فل يستقبل الصباح جديدا

- وهنا استحضر الشاعر براءة الأطفال ونقاء أرواحهم ، كما استوحى روح الملائكة لما تتميز به من طهر وعلو الدرجات.

- ويضيف زكريا قائلا:

شامحا أنفه جلالا وتيهـــــا ... رافعا رأسه يناجي الخلـــــودا

رافلا في خلاخل زغردت تمـ ... ـلأ من لحنها الفضاء البعيدا

- في البيتين كلمات لها دلالات عميقة على اطمئنان الشهيد لموقف الإعدام، فالشاعر كما استخدم كلمات: قام، يختال ، يتهادى في البـيت الأول بدل الاقتياد.... استعمل في هذين البيتين كلمات:شامخا، جلالا ، رافعا رأســه،خلودا ، زغردت، لحنها.... لتقوية الموقف والحجة، وهذه الأوصاف تدل على إتكاء الشاعر على مكنون ديني نفسي ينص على أن الشهداء لا يموتون، قال تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} آل عمران –169 –

ثم يلجأ الشاعر إلى قصة موسى(عليه السلام) فيصور الشهيد حالما، شريد الخيال مشبّها إياه بكليم الله الذي اصطفاه بكلامه المجيد تعبيرا عن رغبة الشهيد في أن يكون من عباد الله الشهداء المصطفين، حتى يتمكن من الصعود للدرجات العلى في دار الخلود ،قال "زكريا":

حالما كالكليم كلمه المجد ... فشد الحبال يبغي الصعودا

- وللتعبير عن قدسية الموقف ، وقوة تحدي الشهيد الذي جعل موته حياة للجزائر، إذ آمن أن تحقيق النصر لا يكون إلا بالشهادة ، فالشهيد كان روحانيا مؤمنا بأنه حمل ونال شرف إيصال رسالة التضحية والفداء من أجل الوطن ، قرر"زكريا" أن الرسالة قدسية كما كانت رسالة المسيح الذي رفع الله روجه ، كذلك الشهيد تسامى عن أيدي الطغاة ، وأصبح روحا خالدة صاعدة إلى الله ، ولتدعيم هذه الصورة و الموقف المقدس استحضر الشاعر روح جبريل(عليه السلام) وفضائل ليلة القدر، فقال :

وتسامى كالروح في ليلة القدر ... سلاما يشعّ في الكون عيدا

- وهذا اقتباس من قوله تعالى{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } القدر3- 4- 5-

- وفي البيت الشعري شبه"زكريا" زبانا بجبريل(عليه السلام) لما يمثّله حضوره من طهارة وبشرى ونقاء ، فأضفى على المشهد الدموي أجواء نورانية ربانية وملائكية ،وبذلك أصبح الذبح والإعدام سموا وحياة ، وغدى زبانا ملاكا طاهرا ،وغدت ليلة الإعدام ليلة قدر للجزائر .

- ثم بعد ذلك يلجأ الشاعر إلى معجزات الرسول(محمد صلى الله عليه وسلم)، فيستحضر حادثة الإسراء والمعراج، مصورا الشهيد لمّا صعد إلى المقصلة، وكأنه يمتطي مذبحا للبطولة معراجا مباهيا السماء في علوّها ومجدها، راكبا سلّم المجد نحو دار الخلود، فقال الشاعر :

وامتطى مذبح البطولة معراجا ... ووافى السماء يرجو المزيدا

- وفي هذا البيت تعبير عن صلابة وقوة إيمان "زبانا" وعلو المكانة التي سيبلغها كما بلغ "محمد"(صلى الله عليه وسلم) سدرة المنتهى في حادثة المعراج، وبهذه الصورة أشاع " زكريا " على الموقف بكلماته وألفاظه جوا من الوقار والجلالة .

- وحين أراد الشاعر تبيين عظمة المهمة التي يقوم بها "زبانا" شبّهه بالمؤذن الذي يدعو الرقود إلى الصلاة وترك متاع الدنيا ،والوقوف بين يدي الله الكريم ، كذلك" زبانا" دعا إلى التضحية والثورة ،ودعا المتخاذلين إلى الاستفاقة من غفواتهم ،وهذه الصورة الرائعة من الشاعر تدفع المتلقي إلى التعاطف مع القضية الجزائرية ، قال" زكريا" :

وتعالى مثل المؤذن يتلو ... كلمات الهدى ويدعو الرقودا

صرخة ترجف العوالم منها ... ونداء مضى يهز الوجودا

- تلك الصرخة تعبّر عن شجاعة الشهيد الذي بث الرعب والدهشة في نفس العدو الغاشم ، دهشة من صبر وتجلّد الشهيد الذي تساوى عنده الموت والحياة ،فصاح:

واقض يا موت فيَ ما أنت قاضٍ ... أنا راض إن عاش شعبي سعيدا

- اقتبس الشاعر قوله من الآية الكريمة التي تبيّن رد فعل سحرة فرعون لما تحدّوا"موسى"(عليه السلام) ، ثم انقلبوا بعدها مؤمنين برسالته, بعدما رأوه من بيّنات على وحدانية الله عز وجل ,قال تعالى:{ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}طه– 72 –.

- ومن قصة موسى(عليه السلام) مع السحرة ،استوحى"زكريا" موقفا نادرا للبطولة والتحدي والثبات على الموقف في وجه الجبروت والظلم، فالشهيد زبانا وهو على شفا حفرة من الموت كان شامخ الرأس في عزة، قويّ الإيمان مُغيظًا للأعداء ،كما كان السحرة المؤمنون برسالة "موسى" ثابتين رغم جبروت فرعون، فالبطل زبانا أراد أن يخبر الفرنسيين أنهم بإعدامه وقتله لن يخمدوا الثورة الجزائرية كما لم يقض فرعون من قبل على إيمان السحرة برسالة" موسى" لمّا صلبهم على جذوع النخل.

-لقد دلّت هذه الصورة القرآنية على ثبات ورسوخ مبدأ "القدر" الديني في معتقد الشاعر.

- ثم يعود" زكريا" لقصة عيسى(عليه السلام) وخلود روحه فيقول :

زعموا قتلوه وما صلبـــوه ... ليس في الخالدين عيسى الوحيدا

لفه جبريل تحت جناحيـ ... ـه إلى المنتهى رضيّا شهيـــــدا

- في هذه الأبيات تضمين لقوله تعالى:{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} النساء 157- 158

- وهذا تضمين رفيع المستوى والجودة ،أخذه الشاعر من قول قرآني معجز ساعيا إلى تسفيه وتتفيه الفعل الاستعماري، حيث شبه الشاعر الشهيد"زبانا"بعيسى(عليه السلام)الذي رفعه الله إليه ولم يمت بعد أن زعم اليهود قتله ، كذلك زعم الفرنسيين قتل زبانا هو زعم كاذب ، فالله الذي صعد بعيسى قادر على الصعود "بزبانا".

– ومن أعلام القصص القرآني أيضا يذكر الشاعر"آدم وحواء" مجتمعين مشيرا إلى مساندة المرأة الجزائرية للرجل في الجهاد والحرب ، فيقول :

شاركت في الجهاد آدم حوا ... ه ومـدّت معاصمـا وزنـــــودا

أعملت في الجراح أنملها اللـ ... ـدن وفي الحرب غصنها الأملودا

- وفي هذا التضمين تقوية وترسيخ للمعنى، فالشهيد والشاعر ينتميان لهذا الشعب العظيم صاحب العزة والبقاء والوحي ، حيث المرأة تساوي الرجل بطولة وفداء.

- ثم يواصل" زكريا " اقتباسه من القرآن الكريم فيقول:

يا سماء أصعقي الجبان، و يا أر ... ض ابلعي القانع الخنوع البليدا

- استمد الصورة والألفاظ من قوله تعالى:{ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} هود–44–

- دعا الشاعر بأن تبلع الأرض وتصعق السماء الجبان المتخاذل لأن الأمر قضي ولم

يبق في الأرض الجزائرية الطاهرة مكان إلا للأحرار والشجعان المؤمنين بنصر الله.

- ثم يخاطب الشاعر فرنسا قائلا:

نحن ثرنا فلات حين رجوع ... أو ننال استقلالنا المنشودا

-إستعان "زكريا" في هذا البيت بالقدرة الإلهية التي أهلكت الأقوام الظالمة الكافرة التي لم تصغ إلى كلمة الله -من قبل- مناجيا الله القادر على إهلاك المستعمر الظالم وهذا اقتباس من قوله تعالى: {كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ }ص-3-

- لقد كانت قصيدة الذبيح الصاعد خير دليل على تأثر الشاعر بالقصص القرآني، إذ استوحى معجزات المسيح عيسى(عليه السلام) وروح الملك جبريل، وموسى الكليم ،ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ، فزبانا في نظر الشاعر بلغ مكانة عالية وقريبة من الأنبياء والرسل بعدما سقى وطنه ودينه بدمه الطاهر الزكي، والشاعر استخدم التراث الديني بحركيته وحيويته الفنية مستقصيا صورا ورموزا قرآنية خدمة لقضيته ، يقول "حواس بري" : (وما استمرار مفدي هنا إلا لخدمة الفكرة أو القضية التي يدافع عنها »[1]

ومن هذا التراث الديني إضافة إلى القرآن الكريم نجد :

ب -الثقافة الإسلامية:

- في قصيدة "الذبيح الصاعد" استند "مفدي زكريا " وبكثاف على مصادر ومناهل الدين والتراث الإسلامي، فقد لجأ الشاعر إلى التاريخ والقيم الاسلامية، بدءا بسيرة سيد الخلق(محمد صلى الله عليه وسلم) التي كانت منارة لطريق الشعراء المناضلين والمدافعين عن أوطانهم ودينهم و" زكريا " وبحكم إطلاعه عليها -السيرة- اغترف منها، وإن قلّ الاقتباس من الحديث الشريف في قصيدة "الذبيح الصاعد " إلا أنها حوت تضميناً لمواقف وأقوال وأفعال الرسول(صلى الله عليه وسلم)، فالشاعر استوحى حادثة الإسراء والمعراج في قوله:

وامتطى مذبح البطولة معـ راجا ووافى السماء يرجو المزيدا

[1] - حواس بري ، شعر مفدي زكريا :دراسة وتقويم ، ص318

- فالشهيد" زبانا" وافى السماء راجيا المزيد من نعيم الجنان وفي البيت تضمين لحادثة الإسراء والمعراج، لما انطلق "جبريل" بسيد الخلق إلى سدرة المنتهى، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في روايته للحادثة «...ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، قال :ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»[1]

–الشاعر أراد أن يصور الشهيد صاعدا للسماء فرحا بما سيناله من الدرجات العلى في الجنة، كما وصل سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) في حادثة الإسراء والمعراج إلى سدرة المنتهى.

– كما يورد "زكريا " ألفاظا هي من صميم السنة النبوية الشريفة في قوله:

«أنا إن مت فالجزائر تحيا ... حرة مستقلة لن تبيـــدا»

قولة ردد الزمان صداهـا ... قدسيا فأحسن الترديـــدا

احفظوها زكية كالمثانـــي ... وانقلوها للجيل ذكرا مجيدا

وأقيموا من شرعها صلواتٍ ... طيبات ولقنوها الوليـــدا

–هذه الأبيات تضمنت كلمات: قدسيا ، زكية، المثاني، صلوات، شرع، طيبات، بها يشير الشاعر إلى أن كلمات وصرخة "زبانا" كانت زكية وطاهرة كفاتحة الكتاب الكريم التي تُلقب بالمثاني السبع، وكلمات زبانا هنا شبهها الشاعر بفاتحة الكتاب التي لا تستقيم الصلاة إلى بها لقوله (صلى الله عليه وسلم) :«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[2] ، كذلك قصة بطولة زبانا وكلماته أمام مقصلة الموت لابد أن تكون فاتحة لتاريخ الجزائر المجيد، فلا يصح أو يستقيم تعليم الأجيال إلابها، فلا بد أن تكون المبادئ الأولى في زرع حب الوطن و التضحية في سبيله في قلوب وعقول الوليد(الأجيال)

وأقيموا من شرعها صلواتٍ ... طيبات ولقنوها الوليدا

[1] - صحيح مسلم ،ترقيم وتبويب : محمد فؤاد عبد الباقي ، ص50

[2] - المصدر نفسه ، ص95.

فكلمات زبانا كانت صرخة قدسية زكية، وفاتحة للجهاد والفداء الحقيقيين مازال صداها يتردد في تاريخ الثورة الجزائرية .

– والشاعر يؤمن أن الثورة التحريرية هي جهاد من أجل تحقيق الحرية و الاستقلال بعون الله، فيقول :

ثـورة لـم تكن لبغي وظـلـم ... في بلاد ثارت تفكّ القيـودا

ثــورة تملأ العـوالم رعبــا ... وجهـاد يذرو الطغاة حصيدا

وجيوش مضت يد الله تـز ... جيها وتحمي لواءها المعقودا

–فالشاعر يؤمن بأن الله عز وجل يحمي ثورة شعبه ، وبأن الثورة هي ثورة إسلام لإعلاء كلمة الله ودينه، فجهاد الجزائريين وتضحياتهم هي في سبيل الوطن والدين الإسلامي، لذلك لابد أن يجازيهم الله بنصره العظيم، وهذا الإيمان من الشاعر يدل على اطلاعه على قصص جهاد الرسول(صلى الله عليه وسلم) الذي قال :«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله »[1]

– ويواصل الشاعر متحدثا عن المتخاذلين الخائنين لقضيتهم ووطنهم، وقد تحدث عن هؤلاء كثيرا في شعره، وفي"الذبيح الصاعد" يصف مآلهم قائلا:

يا ضـلال المستضعفين إذاهم ... ألفو الذل واستطابوا القعودا!!

ليس في الأرض بقعة لذليـل ... لعنته السما فعاش طريدا....

–فهؤلاء المتخاذلون ملعونون، منبوذون، لما تميزوا به من نفاق، وعن هذا تحدث الرسول(صلى الله عليه وسلم) :« من مات ولم يغز و لم يحدّث به نفسه مات على شعبة من نفاق».[2]

– وفي المقابل يحييّ الشاعر الشجعان الواهبين حياتهم قربانا للوطن والدين، فينالوا بذلك درجات الجنة العليا التي تحدث عنها القرآن الكريم، والرسول(صلى الله عليه وسلم) في

[1] - المصدر السابق ، ص 463

[2] - المصدر نفسه ، ص 464 .

حديثه الشريف فالشهداء السابقون لم يموتوا، بل هم يعيشون إلى جوار ربهم الكريم الذي منحهم الجنان التي وعدهم بها، يقول" زكريا" :

كل من في البلاد أضحى زبانا ... وتمنى بأن يموت شهيدا !!

واستريحوا إلى جوار كريم ... واطمئنوا فإننا لن نحيدا!!

-هنا نلمس دليلا بيّنا على إطلاع الشاعر على سيرة سيد الخلق في غزواته، وأفعاله وأقواله، وحياته مع الصحابة الكرام(رضي الله عنهم) الذين كانوا يتنافسون على الجهاد و الموت حتى ينالوا جنة الخلود، و"زكريا" استمد هذه الصورة معبرا عن استعداد الجزائريين للشهادة بكل فخر وتفاؤل حتى يستريحوا إلى جوار الله في جناته، فالشهداء نصيبهم الجنة والنعيم، قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :«أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطّلع إليهم ربهم إطلاعة، فقال هل تشتهون شيئا؟ قالو أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا ياربّ نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى »[1]

- وفي موضع آخر من القصيدة نجد "زكريا" يطالب باستقلال الجزائر، الإستقلال الذي هو حرية وعزة وسيادة، فالشعب الجزائري المناضل لن يرضى بغير الاستقلال والحرية والعدل والذي هو من حقه ، يقول الشاعر:

ليس في الأرض سادة وعبيد ... كيف نرضى بأن نعيش عبيدا!؟

أمن العدل صاحب الدار يشقى ... ودخيل بها يعيش سعيدا !؟

أمن العدل صاحب الدار يعرى ... وغريب يحتل قصرا مشيدا؟

-في هذه الأبيات نلمس دليلا على تشرب زكريا للقيم الأخلاقية الإسلامية التي جاء بها محمد(صلى الله عليه وسلم)، والأنبياء الآخرون من قبله

[1] - المصدر السابق ، ص 460 .

ومن هذه القيم "العدل والمساواة" ففي الإسلام ليس هناك سيّد ومسود، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :« الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ...»1. وهذه القيم الإسلامية ، شبّ عليها صحابة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ومنهم الفاروق "عمر بن الخطاب"(رضي الله عنه) الذي يقول:« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

– فزكريا قرر اعتمادا على ما تلقاه من تربية وتعليم إسلامي أنه في الجزائر لا يوجد إستعمار سيد و شعب جزائري مسود ، فالجزائري ولد حرا ، و سيبقى كذلك بفضل ثورته وإيمانه.

– ثم يواصل الشاعر في موضع آخر تشبّثه بالأمل حين يقرر أن الإنسان لابد أن يعيش حرا كريما بعد تحقيقه للكرامة والحرية التي تتطلب إرادة وإيمانا بأنها حق وواجب فيقول :

أنا إن مت فالجزائر تحيـا ... حرة مستقلة لن تبيــدا

– هذا الموقف الشجاع استمده الشاعر والشهيد من قدسية رسالتهما وإيمانهما العميق بانتصار القضية الجزائرية العادلة، وتحلّيهما بالأمل الذي تغلب على اليأس، وهذا يتجلى أكثر في استمــداد الشاعــر من قصص الأنبيــاء الذيــن آمنــوا برسالتهـم، وأملوا في نصر الله الذي وعدهم به، لأن دعوتهم ورسالتهـــم تمثل صراعــا بين الحق والباطـل، كـذلك الشاعر يؤمن بأن الثورة التحريرية هي ثورة ضد الظلم والعدوان الذي لابد أن يندثر ،فطريقة سير الشهيد إلى المقصلة :حالما، مختالا، شامخا، باسما، كل هذه الكلمات تحمل ،معاني التجلد وقوة القلب والإيمان واليقين وكذا الأمل بغد أفضل .

– وبعد القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، يلجأ الشاعر إلى التاريخ الإسلامي فيستحضر الوقائع التاريخية العربية،لما فيها من قدرة تواصلية ،فالتاريخ الإسلامي قوي المصدر يجمع الشاعر ومخاطبيه لما له من قدرة كبيرة على التأثير .

[1]- حديث ضعيف ، ذكره الألباني في صحيحه الجامع ، أنظر: موقع انترنت - fatwa.islamweb.net

– وقصيدة "الذبيح الصاعد" كلها تُبنى على فكرة الصراع مع الآخر (فرنسا)،هذه الفكرة يتخذها "مفدي زكريا" خلفية له ، فالقصيدة تحوي تعابيرا ظاهرة وخفية أحيانا عما في نفس الشاعر وذاكرته، إذ أنه عندما أراد أن يواجه اللحظة المأساوية لجأ إلى الموروث الإسلامي المشترك، وبذلك تخطى حادثة الإعدام تلك ووصل إلى صراع وثورة أعمق شكّلها الدين الإسلامي الحنيف ضد الحروب الصليبية الآثمة ، يقول" زكريا":

واضرميها عرض البلاد شعالـيـ ... ـل فتغدو لها الضعاف وقودا.

واستشيطي على العروبة غيظا ... واملئي الشرق والهلال وعيدا.

- هذا الصراع الحاضر بين الجزائر و فرنسا هو امتداد للصراع الماضي بين الإسلام والمسيحية، من أجل استرداد المسلمين لحضارتهم المسلوبة، ولهذا استحضر"زكريا" رموزا قوية من التاريخ الإسلامي، ومنها قوله:

سوف لا يعدم الهلال صلاح الد ... ين فاستصرخي الصليب الحقودا.

–إن رمز الهلال وصلاح الدين وغيرها من الرموز الإسلامية عمل الاستعمار على طمسها، لذلك استحضرها الشاعر ليشير إلى أن هناك صراعا خفيا، جذوره ضاربة في عمق التاريخ الكامن في ضميره ، وهذا الرمز"الهلال" هو رمز للأمة الإسلامية وتعاليمها السمحاء، أما "الصليب" فهو رمز المسيحية المنحرفة الحاقدة، أما اسم "صلاح الدين" فيرمز إلى الصراع التاريخي .

– إذن الثورة التحريرية الكبرى ليست مجرد حرب بين عدو غاصب وشعب مظلوم ، بل هي ترتبط بصراع أزلي ماضي بين الباطل والحق والكفر والإيمان ، بين صليب حاقد معتاد على القتل (حادثة المسيح) و إسلام ينبذ الظلم وينشد العدل والأمل، فالكاردينال

الفرنسي "لافيجري" يقول عن خلفية احتلال فرنسا للجزائر : (علينا أن نُخلّص هذا الشعب و نحرره من قرآنه) [1]

– هذه الرموز المسيح، الهلال، الصليب، صلاح الدين ، هي رموز تاريخية استحضرها "زكريا" ليؤكد المرجعية العدوانية للاستعمار الفرنسي، واستمرار الحقد الدفين في شخصية المستعمر منذ زمن بعيد.

– وهذه الرموز أيضا تعبر عن الروح الشاعر الدينية وتمسكه بانتمائه وموروثه الإسلامي الذي لجأ إليه دون أن يتوقف عند حدود الواقع فقط .

– بعد كل هذه الايحاءات يشير "مفدي زكريا " إلى حدث تاريخي إسلامي آخر ببعد جمالي وفكري نلمس من خلاله تمكنه وبراعته في الاستناد على الموروث الإسلامي الحافل بالبطولات والأمجاد، فالشاعر حين يخاطب الاستعمار ولتقزيمه يذكّره بماضيه المخيّب، ومصير أجداده الظالمين وذلك بالإشارة إلى الحادثة التاريخية التي سجن خلالها "سان لويس" في دار لقمان [2] لمّا طمع في احتلال مصر، يقول زكريا:

إن من يهمل الدروس وينسى ... ضربات الزمان لن يستفيدا..

نسيت درسها فرنسا فلقّنا ... فرنسا بالحرب درسا جديدا!

وجعلنا لجندها (دار لقما ... ن)قبورا ملء الثرى ولحودا!

– هذه الكلمات مليئة بالروح الأبيّة التي لا تهاب شيئا، يتوعد فيها "زكريا" فرنسا بمصير مهين كما كان مصير المعتدين السابقين الذين نالوا بظلمهم خسرانا مبينا، وفي هذه الصورة اعتمد "الشاعر" على تاريخ سابق ليكون عبرة ودرسا مفيدا.

– وفي الأخير نخلص إلى أن قصيدة "الذبيح الصاعد" تعددت منابعها الدينية من القرآن

[1] - محمد الهادي السنوسي الزاهري ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج1 ،ط1 ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر ، 2007 ، ص 29 ..

[2] - دار لقمان بمدينة المنصورة تم سجن الملك لويس التاسع فيها مقيدا في أغلال، أثناء غارته الصليبية على مصر.

الكريم، والحديث الشريف، إلى السيرة النبوية الطاهرة، والتاريخ الإسلامي المجيد المليء بالفخر والاعتزاز، ولذلك استطاع "زكريا " أن يحوّل القصيدة إلى أجواء روحانية تفيض بفرحة الشهادة ، رغم قتامة وسواد الصورة وحزن الموقف فكانت القصيدة بذلك لوحة خالدة تجسد عظمة الثورة الجزائرية، وعلى هذا الموقف علّق"د. محمد ناصر" قائلا: (فليس هذا المشهد الحزين المؤثر، مشهد مواجهة الإنسان اللحظات الأخيرة في حياته، هو الذي يحرك العواطف ويهز الوجدان في هذه المقطوعة فحسب، بل لأن الشاعر وُفّق كل التوفيق في استخدام الأدوات الفنية التي تضافرت جميعها على تفجير هذه الأحاسيس في أعماق المتلقي، لقد استغل زكريا كل ما في الألفاظ من طاقة إيحائية، نغما وصورة ومعنى فقدم بين أعيننا هذا المشهد المؤثر الذي قلّما قرأنا شبيها له في الشعر الثوري الجزائري الحديث)[1]

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته وخصائصه الفنية ، ص323.

الخاتمة :

بفضل الله وعونه تمت هذه الدراسة التي حاولت فيها الإلمام بالجوانب الدينية في "ديوان اللهب المقدس" من خلال اتخاذ قصيدة "الذبيح الصاعد" أنموذجاً للدراسة والتحليل، لرصد الروح الإسلامية الدينية فيها وفي شعره عامة.

– وقد وجدت أن :

– التفاعل بين النص الشعري لمفدي زكريا و المصادر التراثية الإسلامية تعددت أشكاله من إقتباس لفظي، وتضمين للمعاني، واستغلال للقصص القرآني، وقد احتل القرآن الكريم بصوره وألفاظه ومعانيه وشُخوصه وفاصلته مساحة واسعة من شعر "مفدي زكريا" كله، و خاصة ديوان "اللهب المقدس" ، وبذلك كان القرآن الكريم المنهل الأوّل الذي ورد منه "مفدي" وتشَرَّب منه نصه الثوري.

– ثم تأتي السيرة النبوية الطاهرة بما تحويه من مواقف الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأفعاله و غزواته وأقواله وأحاديثه الشريفة التي تركت أثرًا عميقا في شعر "مفدي".

– ولما سعى الاستعمار لتغريب الهوية الوطنية الإسلامية، لجأ الشاعر لتأكيد تلك القومية العربية الإسلامية المتأصلة الجذور في المجتمع الجزائري من خلال استثارته للتاريخ الإسلامي الحافل بالأمجاد والبطولات التي تبعث الفخر والحماسة في نفوس الثوار الجزائريين الذين قامت ثورتهم على مبادئ وأخلاق إسلامية تبنّاها "مفدي زكريا" في شعره.

– وقصيدة "الذبيح الصاعد" كما كانت درّة ديوان "اللهب المقدس" وجوهرته، كانت خير دليل ومثال لاتكاء الشاعر على موروثه الثقافي الإسلامي من قرآن كريم، وحديث شريف وتاريخ إسلامي وقيم أخلاقية إسلامية تربَّى عليها الشاعر، وبذلك شكلّت القصيدة هالة ضياء في الديوان تنير ثورة الجزائر وتُلهبها، وتبعث في نفوس أبطالها الأمل و الإرادة، فكان شعره بذلك مرآة صادقة مما جعله ينال لقب شاعر الثورة عن جدارة واستحقاق.

ملخـــص :

–تناولت في هذه الدراسة موضوع "الروح الدينية في ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا" بهدف تقصّي وتتبّع الأبعاد الدينية وجمالياتها في شعره عامة، وفي ديوان الثورة الجزائرية "اللهب المقدس" بصفة خاصة .

– تطرّقت بدايةً إلى أثر القرآن الكريم في شعر"مفدي زكريا" والذي كانت دلائله وملامحه كثيرة،تجلّت في توظيف الشاعر لصور وألفاظ وإيحاءات ورموز قرآنية، فكان القرآن المصدر الأول لصُوره الشعرية، ثم يليه الحديث النبوي الشريف، ولمكانته الرفيعة في نفوس الشعراء الجزائريين لما يتميز به من إشراق العبارة وفصاحة اللفظ والإيجاز وبلاغة القول ، فقد نهل منه "مفدي" اقتباسًا وتضمينًا في معظم نصوصه الشعرية مُدركًا أهميته الفنية والفكرية .

– كما كانت الثقافة الإسلامية المتمثلة في التاريخ والقيم الإسلامية مصدرا دينيًا تراثيًا آخر من مصادر الشاعر الذي استحضر الشخصيات الإسلامية التاريخية المجيدة، وبطولاتها ومعاركها وانتصاراتها لاستنهاض الهمم من أجل مجابهة الاستعمار الذي عمد إلى طمس الدين ولغة القرآن الكريم والهوية الجزائرية المسلمة التي ألحَ الشاعر على تأكيدها والتذكير بها في شعره.

– أما القيم الإسلامية الأخلاقية فقد نالت جانبًا مُهمًا من شعره ونضاله، إذ التزم بها الشاعر راصدا إيقاع شعب ثائر متطلع للحرية، فتنوّعت تلك القيم ما بين عدل ومحبّة وأمل وفضيلة ظهرت بارزة بشدة في شعره، كما تلازمت ثلاثة قيم أخلاقية معه هي : الحق والخير والجمال.

– فالمُطلّع على شعر "مفدي زكريا" لا يخطئ تلك الروح الدينية التي تسري في شعره لتأثُّره الشديد بالقصص القرآني، والتاريخ الإسلامي عموما سواء في معجمه اللّفظي أو مضمونه، فتميز شعره بقوة وجزالة اللّفظ، وصدق التعبير وبلاغة الصور الشعرية،و أصالة المنبع، وصدق التجربة الشعورية بمعاناتها وأفراحها.

– و قد تفوّق شعره الوطني تفوقا واضحا لأنه واكب الثورة و الواقع الجزائري بحماسة عالية، داعيا إلى الكفاح والنضال ووحدة المغرب العربي، فمثّل "زكريا" الجزائري والعربي بكل قيم العروبة والإسلام.

– وديوان "اللهب المقدس" ينبئ وبوضوح عن تأثر"مفدي" بالثقافة العربية الإسلامية التي نشأ في ظلّها وتشَبّعَ بها، وهذا ما نلمسه من خلال مطالعتنا لواحدة من قصائده الخالدة "الذبيح الصاعد"؛ التي صوّرت بطولة شعب مؤمن بقضاء الله، وبصدق قضيته، شعب جزائري يتسامى نحو الموت مُناجيا الخلود، كما صوّرت أحداث الثورة وحياة ومعاناة الشعب الجزائري وانتصاراته أيضا، تصويرا دقيقًا فبدت شخصية الشهيد وحياة شعبه ماثلة حيَّة مشخصة أمامنا بفضل قوّة لغة "زكريا" وصدق مشاعره وجهاده وحكمته،ومسعاه النبيل لنفع الأمة الإسلامية جمعاء.

– ولتأكيد الأبعاد و الجوانب الدينية و أثرها في شعره، واعتمادًا على المنهج الوصفي التحليلي، أجريْتُ دراسةً تحليليةً لقصيدة " الذبيح الصاعد" مُحاوِلةً إبراز تجليات الروح الدينية فيها، والتي نال منها القرآن الكريم بألفاظه ومبادئه وقصصه حظًا وافرًا ،إضافة إلى الحديث الشريف و السيرة النبوية الطاهرة،والتاريخ وكل المعاني الإسلامية.

Abstract :

- I've searched in this study topic "religious spirit in the sacred flame of Moufdi Zakaria" in order to investigate and following the religious aspects in his poetry in general, and in the book of the Algerian revolution, "the sacred flame" in particular.
- in the beginning i touch on the impact of the Quran in poetry « Moufdi Zakaria », who was its indications and features many, manifested in the using of the poet an forms ; words and gestures and symbols koranic, was the « Quran » that the first source forms of « moufdi », followed by the « Hadith », and its position high in the hearts of poets Algerians what distinguishes radiance of the phrase and eloquence word ‹speech‹ and brevity,already "Moufdi" learnt from it : quotation and inclusion the meaning in most poetic texts is aware of artistical and intellectual importance
- As was the Islamic culture that is : history and Islamic values a religious heritage source of other sources of the poet who inspired by Islamic personages historical glorious and their heroisms ; battles and victories for the arousal of determination to confronatation colonialism that resorted to islam and arabic and Algerian origin Muslim insisted poet to confirmation and reminding it in his poetry.
- The values of Islamic morality has won an important aspect of his poetry and his struggle, as observed by the poet when he watched the kinetic of people look to the freedom, those values were between justice and love and hope and virtue appeared prominent strongly in his poetry, as correlated three moral values with him are: right and goodness and beauty .

-who informed about poetry "Moufdi Zakaria" does not ignore those religious spirit that circulates in his poetry for intense influence by the stories Quranic and Islamic history in general, both

in his words or its content,so his poetry was characterized by strength and abundance of pronunciation, and sincerity of expression and eloquence the poetic description, originality of source, and sincerity to experience emotional by its sufferance and joys.

-his national poetry excels so much because it coincided with the revolution and Algerian life highly enthusiasm, calling for struggle and the Arab Maghreb unity,so "Zakaria" represented Algerian and Arab with all the values of Arabism and Islam.

- « The sacred flame » informs clearly of influence "Moufdi" by Arab culture Islamic that grew up in it, and this is what we feel it through our reading for one of his timeless poems : "the Ascendant carcass "; that described heroism people believer in destiny of God, Algerian people transcend towards death confident from paradis.as portrayed events of the revolution and the lives and suffering of the Algerian people and their victories too,therefore the martyr appeared with the lives of his people; visible and live by virtue of the power of language "Zakaria" and sincerity of his feelings and his jihad and wisdom and his good office for the benefit of all the Islamic nation.

- To confirm the and religious aspects and their impact on his poetry, and depending on the descriptive analytical method, I performed an analytical study of the poem " the Ascendant carcass " trier to highlight the manifestations of the religious Spirit where, which the Quran won by its words and principles and its stories an abundant share of them, in addition to the Hadith and Biography of the Prophet and Islamic history and all the meanings.

❖ **ملحـق : مفـدي زكريـــا :**

1- **نبذة عن حياة " مفدي زكريا ".**

2- **شخصيته .**

3- **منابع ثقافته .**

4- **مؤلفاته .**

5- **خصائص شعره .**

1/ نبذة عن حياة مفدي زكريا: (1)

–ولد "مفدي زكريا" في "بني يزقن " بميزاب جنوب الجزائر، وهو زكريا بن سليمان بن يحي ابن الشيخ الحاج سليمان، لقبه الشيخ أو آل الشيخ ، ولد سنة 1908م(أبريل)، تلقى مبادئ العربية والفقه، وحفظ جزءا من القرآن الكريم .

– سافر سنة 1922 للدراسة في الخلدونية والزيتونة بتونس، حيث بدأ يكتب الشعر، لقبه أستاذ له في 1926 بـ"مفدي" لما رآه فيه من نجابة ،شاعرية، لطف وإحساس، وحلاوة معشـــر

– فتح له مناخ تونس الثقافي في فترة 1922–1926م بابا واسعا لولوج معركة النضال الفكري، وهو مناخ الثقافة العربية الإسلامية الصامدة في وجه الغزو الفكري الأوربي.

– عاد سنة 1926 إلى الجزائر فتزوج، عمل أجيرا في محلات تجارية بقسنطينة، العاصمة .... وفتح محلا خاصا به في الجزائر، وقد عمل في التجارة دون إهمال النشاط الأدبي والسياسي، حيث نشرت الصحف إنتاجه، كما أصبح عضوا فاعلا في حزب" نجم شمال إفريقيا " فاختير سنة 1936م رئيسا للجنة التنفيذية، فيندبه الحزب للنشاط الثقافي والأدبي ، فتولى تحرير جريدة "الشعب" منذ عددها الأول.

– سجن بعد مظاهرات 14 جويلية 1937 التي رفع فيها العلم الجزائري، وفي سجن "بربروس "نظـم النشيـــد الوطنـــي "أعصفـي يـــا ريـــاح" فـــي نوفمبـر 1937 ، خـرج مـن السجـــن فـــي أوت 1939م، لـــيـعـــود إليـــه عـــدة مـــرات ، حتـــى انـتـهـــى بـــه

[1] - أنظر : عمر بن قنية ، في الأدب الجزائري الحديث :تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ص70-71-72 .

الأمر إلى صفوف جيش التحرير الوطني سنة1955م، فسجن مرة أخرى من 1956/04/19 حتى 1959/2/1 وصودر ماله و أملاكه .

– فر إلى المغرب، و ازداد إيمانا بضرورة كفاح الاحتلال لنيل الاستقلال فبات لسانا معبرا بشعره عن الثورة في الصحافة والإذاعات العربية والمؤتمرات المختلفة، فكان نصير الجزائر المتجول، يعرّف بالثورة ويخدم القضية الجزائرية حتى الاستقلال سنة1962م.

بعد عودته إلى الجزائر بعد1962، غادرها مرة أخرى إلى تونس في 1963م وبقى حتى سنة 1969م, حيث وجد الحفاوة والدعم المادي والأدبي.

– انتقل إلى المغرب، وفتح فيها مدرسة ثانوية للتعليم، وطول حياته ظل يجمع بين الأعمال التجارية والإدارية وإبداعاته الأدبية لخدمة الجزائر التي كان يحن لها دائما.

– توفي في تونس بغتة في 3رمضان 1397هـ– 17أوت 1977م.

– دفن في مسقط رأسه تاركا خلفه أثرا نضاليا ، وآثـارا أدبيـــة وفكرية مختلفة معظمها مخطوط أو تتوزعه الجزائر والمجلات في الوطن العربي .

2/ شخصـيتـــــه :

– كان يتميز بإحساس مرهف شفاف يهتز لكل المواقف والأزمات التي يمر بها الوطن العربي.

– كان طموحا ومحبا للانتصار متواضعا حسن المعشر.

– اتّصف بالتحدي والشجاعة .

– كان يحب المناظرات مع الفقهاء.

– كان بعيدا عن الهزل, مترفعا عن قبيح الأفعال والأفكار والأقوال.

– كان حريصا على وطنه بكل ما أُوتي من قوة فكرية وطاقة إبداعية .

– تميز أيضا بالانقلاب على كل ما لا يخدم الوطن.

– وعموما تميز "مفدي زكريا " بالدفاع عن وطنه فكريا وسياسيا وأدبيا. [1]

3/ منـــابـع ثـقافـتـــه :

أخذ زكريا من منابع ثقافية عديدة ،إذ عاش طول حياته متنقلا بين البلدان طلبا العلم، كما تلقى مبادئ العلم والدين الأولى في قريته، و درس في تونس على أيدي أساتذة منهم: الشيخ محمد الشميني، الشيخ ابراهيم بن الحاج عيسى، وابراهيم أطفيش، وصالح بن يحي[2]..... ومن هؤلاء الأساتذة تلقى مبادئ العربية والعلوم.

في مدرسة الخلدونية درس الحساب والجغرافيا والتاريخ الإفريقي ..... وفي جامع الزيتونة اطلع على كتب بالغة الأهمية في النحو والبلاغة والأصول منها "كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة" ، "فقه اللغة للثعالبي".

–و قد كان لتردد المناضل "عبد العزيز الثعالبي" على أسرة الشاعر دور كبير في اكتساب "زكريا" روح حب الوطن والدين. [3]

4/مؤلفـاته : [4]

– اعتقد الكثير من دارسي الأدب الجزائري أن "مفدي زكريا " لم يترك إنتاجا فكريا كثيرا، ولا دواوين شعرية متعددة، لكن "زكريا" إنتاجه أكثر مما تصور هؤلاء حيث تناثر في الجرائد والمجلات الجزائرية والتونسية نثرا و شعرا.

– من مؤلفاته المطبوعة:

اللهب المقدس: خصّه الشاعر للثورة الجزائرية، طبع طبعتان: الأولى في بيروت

[1] أنظر: حواس بري ، شعر مفدي زكريا :دراسة وتقويم، ص 50.
[2] المرجع نفسه، ص28.
[3] المرجع نفسه ، ص29.
[4] المرجع نفسه ، ص29.

سنة1961، والثانية في الجزائر سنة1983.

من وحي الأطلس : خصه الشاعر للثورة في المغرب الأقصى، طبع سنة1976.

تحت ظلال الزيتون: نظمه" زكريا " لتونس الخضراء، طبع سنة 1965

إلياذة الجزائـــر : نُظمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1972، بلغ عدد أبياتها 1000 بيت وبيت.

دليل المغرب العربي الكبير: هدف به تسهيل الاتصال بين دول المغرب العربي.

- مشاريع كان يأمل الشاعر إنتاجها:

- تاريخ الأدب العربي في الجزائر من الفتح الإسلامي حتى السبعينات.

- تاريخ الصحافة العربية في الجزائر (عرف المشروع النور بفضل د. محمد ناصر).

- إلياذة لتونس ثم إلياذة للمغرب، وتطبع الإلياذات الثلاث: للجزائر وتونس والمغرب في ديوان واحد بعنوان (إلياذة المغرب العربي الكبير).

5/خصائص شعره:

- السمة البارزة في شعر "مفدي زكريا"، هي الصدق الشعري، وأثر معاناة السجون والتعذيب فيه ،ومحنة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، ويمكن الإشارة إلى جملة من الخصائص التي تميز بها شعره:

1- كان شعره أصيلا حتى النخاع

2- شعره صادق لأنه نابع من تجربة شعورية ومعاناة قاسية.

3- شعره استمد الألفاظ و الصور من التراث الإسلامي، فجاء مشبعا بقيمه ومُثُله متأثرا بعظماته وتاريخه المجيد.

4- كان "زكريا" رائعا في رسم الصور الشعرية الحية المؤثرة .

5- كان بارعا في الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والتاريخ، والحديث الشريف، سواء للمفردات أو الأحداث .

قائمة المصادر والمراجع :

أ – المصـادر:

1- القرآن الكريم.

2- الإمام أبي الحسن مسلـم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم- ترقيـم وتبويب :محمد فؤاد عبد الباقي- ط1- دار الأصالة- الجزائر – 2010.

3- محمد الهادي السنوسي الزاهري- شعراء الجزائر في العصر الحاضر- ج1- ط1- دار بهاء الدين للنشر والتوزيع- قسنطينة- الجزائر- 2007.

4- مفدي زكريا- اللهب المقدس- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر -1983.

5- مفدي زكريا- إلياذة الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1987.

ب – المراجـع :

1- الدكتور : أحمد شرفي الرفاعي- الشعر الوطني الجزائري- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر

2- بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر.

3- الأستاذ الدكتور: بوجمعة بوبعيو وآخرون- توظيف التراث في الشعر الجزائـري الحديث- ط1- مطبعة المعارف- عنابة- 2007.

4- الدكتور: حسن فتح الباب- مفدي زكريا: : شاعر الثورة الجزائرية- ط1- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- 1997.

5- حواس بري- شعر مفدي زكريا: دراسة وتقويم- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1994.

6-خليفة بوجادي- الثابت اللّساني في إلياذة الجزائر،بين المنظور الوظيفي والإتجاه الأسلوبي- 2001.

7- محمد الأخضر عبد القادر السائحي- روحي لكم، تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1986.

8- الدكتور: محمد بن سمينة- النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر- مؤثراتها، بدايتها، مراحلها- مطبعة الكاهنة- 2003 .

9- الدكتور: محمد مصايف- النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1979.

10- الدكتور: محمد ناصر- مفدي زكريا شاعر النضال والثورة- نشر جمعية التراث- غرداية.

11- الدكتور: محمد ناصر- الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- 1985.
12- نوارة ولد أحمد- شعرية القصيدة الثورية في اللّهب المقدس- دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع -2008.
13- عبد الله ركيبي- دراسات في الشعر الجزائري الحديث- دار الكتاب العربي- الجزائر- 2009.
14- الدكتور: علي خذري- نقد الشعر في الدراسات الأدبية الحديثة في الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية – قسنطينة-1998.
15- الدكتور: عمر بن قينة- في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما) – ديوان المطبوعات الجامعية- بن عكنون- الجزائر-1995.
16- عمر بوقرورة- الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث- مركز منشورات جامعة باتنة- 1997.
17- سهام خرفي- مفدي زكريا، شاعر الثورة – ط1- دار قرطبة- الجزائر- 2005.
18- صالح خرفي- المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1983.
19- صفي الرحمن المباركفوري- الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية – ط1- دار المستقبل-2005.
20- الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.

جـ - المجلات والدوريـات :

1 - مجلة الأثر- العدد السابع- ورقلة- الجزائر- ماي-2008 .
2 - مجلة البصيرة - العدد الخامس- الجزائر - 2000.
3 - مجلة تعارف- العدد الأول – المركز الجامعي ، البويرة- الجزائر -2006.
4 - سلسلة من أمجاد الجزائر- الشهيد أحمد زبانة- منشورات المتحف الوطني للمجاهد- 2009.

د- موقع أنترنت :

- ملتقى أهل الحديث - fatwa islam web .net

الفهرس

المقدمة.

الفصل الأول: أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في شعر مفدي زكريا

1 / أثر القرآن الكريم في شعر مفدي زكريا 05

أ **–** أثر القرآن الكريم في ديوان "اللهب المقدس" 06

أولاً : توظيف "مفدي" لصور وألفاظ ومعاني قرآنية 07

ثانيا: توظيف "مفدي" لإيحاءات ورموز قرآنية 13

ب – أثر القرآن الكريم في الإلياذة والدواوين الأخرى 20

2 / أثر الحديث الشريف في شعر مفدي زكريا 25

الفصل الثاني : أثر الثقافة الإسلامية في شعر مفدي زكريا .

– تمهيد : 31

أولا : أثر التاريخ الإسلامي في شعر مفدي زكريا 32

ثانيا : أثر القيم الإنسانية و الإسلامية في شعر مفدي زكريا 45

أ – عوامل فلسفة الأخلاق في شعره..... 46

1–التربية والأخلاق الإسلامية..... 46

2–الأخلاق و الإبداع 46

ب – أهم القيم الإنسانية والإسلامية في شعره 47

1–الخير و الحق 47

2–الحرية و العدالة 48

3–المحبة و الأمل 50

4– الفضيلة 51

الفصل الثالث : قصيدة " الذبيح الصاعد" أنموذجا

1– نص القصيدة 55

2– موضوع القصيدة 59

3–تجليات الروح الدينية في القصيدة 60

أ– القرآن الكريم 60

ب– الثقافة الإسلامية 65

الخـاتـمـــة .

مـلـــــــخـص 76

ملخص باللغة الإنجليزية 78

ملـحــق 80

1- نبذة عن حياة مفدي زكريا 81

2- شخصيـتـه 82

3- منابع ثقافتــه 83

4- مـؤلـفـاتــه 83

5- خصائـص شعـره 84

قائـمـــة المصـــادر والمـراجـع .